٧ ـ سعيد بن جبير

المقتول ظلماً على يد المبير، فويل لقاتله من مشهد يوم عسير، «سعيد بن جبير» وقاتله «الحجاج» سيمثلان أمام العزيز القدير، في يوم شره مستطير، فهل عند القاتل من حجة؟ إذا أمسك القتيل بتلابيبه، وراح يقول: يا أعدل من حكم! سل هذا الباغي، فيم قتلني؟

ولد «سعيد» سنة خمس وأربعين للهجرة المباركة، والده «جبير بن هشام»، أسدي كوفي، أحد سادات التابعين، والعلماء العاملين، والفقهاء المحدثين، والأتقياء الصالحين، وكنيته «أبو عبد الله». كان أسود البشرة، أبيض القلب، نقي الفؤاد، أفسد عليه «الحجاج» دنياه، فأفسد «سعيد» عليه أخراه.

العابد البكّاء الورع:

كان «سعيد بن جبير» ﷺ، أحد العبَّاد البكائين وقد أفضى بكاؤه الكثير إلى إصابة عينيه بالعمش. فقد روى أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا مسلم بن قتيبة، ثنا الأصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب الأعرج، قال: كان «سعيد بن جبير» يبكي بالليل حتى عَمِشَ. وروى أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا أحمد الدورقي، ثنا مسلم بن قتيبة، قال: ثنا أصبغ بن زيد، عن القاسم الأعرج، قال: كان «سعيد بن جبير» يبكي بالليل حتى عَمِشَ. وروى أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا جرير، عن عطاء بن السائب، قال: كان «سعيد بن جبير» ربما أبكانا، وكان شديد الورع والتفكر في آيات الله، وربما ردَّد آية من الآيات التي تستوقفه وتبعث الفزع في قلبه، أكثر من عشرين مرة، لما تركت من أثر بالغ في نفسه، فقد روى أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، ثنا يزيد بن هارون، ثنا أصبغ بن زيد، ثنا القاسم بن أبي أيوب، قال: سمعت «سعيد بن جبير» يردد هذه الآية في الصلاة بضعاً وعشرين

مرة ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]. وروى إبراهيم بن عبد الله وأحمد بن محمد بن سنان، قالا: ثنا محمد بن إسحاق، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا عبد الواحد بن زياد، عن سعيد بن عبيد، قال: كان «سعيد بن جبير» إذا أتى على هذه الآية ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧١ ـ ٧٢]. رجع فيها ورددها مرتين أو ثلاثاً. وروى أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، ثنا وهب بن إسماعيل الأسدي، قال: قليل الورقاء ـ يعني: ابن إياس ـ كان «سعيد بن جبير» يصنع كما يصنع هؤلاء الأئمة، يطربون أو يرددون، قال: معاذ الله! إلا أنه كان إذا مرَّ على مثل هذه الآية في «حم المؤمن»: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [غافر: ٧١] أمدَّها شيئاً. وقال أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني شريح بن يونس، ثنا محبوب بن محرز؛ أبو محرز، بياع القوارير بالكوفة، ثقة عن ابن شهاب، قال: كان «سعيد بن جبير» يؤمُّنا يرجِّع صوته بالقرآن.

كان يختم في ركعة:

قامت بين «سعيد بن جبير» وتنزيل ربه علاقة وطيدة، وصحبة حميمة، فكان يكثر الجلوس إليه، ويتلوه عياناً أو عن ظهر قلب، فقد روى أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني سعيد بن أبي الربيع؛ أبو بكر السمان، ثنا أبو عوانة، عن إسحاق؛ مولى عبد الله بن عمر بن هلال بن يِسَاف، قال: دخل «سعيد بن جبير» الكعبة، فقرأ القرآن في ركعة. وروى أحمد بن محمد بن عبد الوهاب، ثنا أبو العباس، ثنا حاتم بن الليث الجوهري، ثنا أبو نعيم، ثنا الحسن بن صالح، عن ورقاء، قال: كان «سعيد بن جبير» يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء في شهر رمضان. وروى أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا يزيد بن هارون، أنبأنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير: أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين.

تصديه للفُتيا:

أصاب «سعيد بن جبير» حظًّا وافياً من العلم والمعرفة والفقه حتى أضحى أهلاً للفُتيا بين الناس. وقد روى أبو علي؛ محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا محمد بن عبد الله بن يونس، ثنا يعقوب عن جعفر يعني ابن أبي المغيرة، قال: كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه،

يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ ولا رَيْبَ أن ابن عباس ﷺ ـ حَبْرُ الأمة ـ ، هو الأجدر بمعرفة مقادير الرجال ومنازلهم، لذلك كانت شهادته ذات أهمية كبيرة. وروى محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا أبي، ثنا جرير، عن أشعث بن إسحاق، قال: كان يقال: «سعيد بن جبير» جِهْبِذ [1] العلماء. وقد أفاد «سعيد بن جبير» من علم العديد من الصحابة، من أبرزهم: ابن عباس ﷺ و«أبو سعيد الخدري» و«عبد الله بن عمر»، و«عبد الله بن الزبير»، وسواهم. وروي أن «عبد الله بن عباس» ﷺ قال له: حَدِّث، فقال سعيد: أُحَدِّث وأنت هٰهُنا؟ فقال ابن عباس: أليس من نعمة بالله عليك أن تحدث وأنا شاهد، فإن أصبت فذاك، وإن أخطأت علمتك. وروى محمد بن حبيب: أن «سعيد بن جبير» كان بأصبهان يسألونه عن الحديث، فلا يحدث، فلما رجع إلى الكوفة حَدَّث. فقيل له: يا أبا محمد! كنت بأصبهان لا تُحَدِّث، وأنت بالكوفة تُحَدِّث، فقال: انشر بَزَّك حيث يُعْرَف.

حول صلاة الملائكة لله تعالى:

روى جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، قال: كان النبي ﷺ يصلي، فمر رجل من المسلمين على رجل من المنافقين، فقال: النبي ﷺ يصلي، وأنت جالس؟ فقال: امض لعملك إن كان لك عمل، فقال: ما أظن إلا سيمر عليك من ينكر عليك، فمر عليه «عمر بن الخطاب» فقال له: يا فلان! إن النبي ﷺ يصلي، وأنت جالس؟ فقال له مثلها، فقال: هذا من عملي، فوثب عليه، فضربه حتى انبهر، ثم دخل المسجد، فصلى مع النبي ﷺ، فلما انفتل النبي ﷺ، قام إليه «عمر»، فقال: يا نبي الله! مررت على فلان آنفاً وأنت تصلي، فقلت له: النبي ﷺ يصلي وأنت جالس؟ فقال: مُرَّ إلى عملك. فقال النبي ﷺ: «**فهلا ضربت عنقه**»، فقام «عمر» مسرعاً، فقال: «**إرجع فإن غضبك عَزَّ، ورضاك حكم، إن لله تعالى في السمٰوات السبع ملائكة يصلون له غنيٌّ عن صلاة فلان**». قال «عمر»: وما صلاتهم يا رسول الله؟ قال: فلم يرد عليه شيئاً، فأتاه «جبريل» فقال: يا نبي الله! سألك «عمر» عن صلاة أهل السماء؟ فقال: «نعم»! فقال: اقرأ على «عمر» السلام وأخبره: أن أهل سماء الدنيا سجود إلى يوم القيامة، يقولون:

(١) الجِهْبِذُ: والجِهْباذ: النقاد الخبير بغوامض الأمور.

سبحان ذي الملك والملكوت! وأهل السماء الثانية ركوع إلى يوم القيامة، يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت! وأهل السماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة، يقولون: سبحان الحي الذي لا يموت!

تفضيله على أعلام التابعين:

كان «سعيد بن جبير» أحد النجوم الوضَّاءة في سماء التابعين، وأحد أعلامهم اللامعين، وكان «خصيف» له من المنصفين، حيث قال: كان من أعلم التابعين بالطلاق: «سعيد بن المسيَّب»، وبالحج «عطاء»، وبالحلال والحرام: «طاوس»، وبالتفسير: «أبو الحجاج: مجاهد بن جبر»، وأجمعهم لذلك كله: «سعيد بن جبير». وبلغ من فضله، ما رواه أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبو كامل؛ المفضل بن الحسين، ثنا أبو عوانة، عن هلال بن ضباب، قال: خرجت مع «سعيد بن جبير» في أيام مضين من رجب، فأحرم من الكوفة بعمرة، ثم رجع من عمرته، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القَعْدة، وكان يخرج كل سنة مرتين: مرة للحج، ومرة للعمرة. وقال «إسماعيل بن عبد الملك»: كان «سعيد بن جبير» يؤمُّنا في شهر رمضان، فيقرأ ليلة بقراءة «عبد الله بن مسعود» وليلة بقراءة «زيد بن ثابت»، وليلة بقراءة غيره، هكذا أبداً.

استجابة دعوته على ديكه:

قال محمد بن إسحاق، ثنا أبو همام، ثنا ضمرة، ثنا أصبغ بن زيد، قال: كان لسعيد بن جبير ديك، يقوم إلى الصلاة إذا صاح، فلم يصح ليلة من الليالي، فأصبح «سعيد» ولم يصل، قال: فشَقَّ ذلك عليه، فقال: ما له؟ قطع الله صوته! قال: فما سمع ذاك الديك يصيح بعدها، فقالت له أمه: أي بني! لا تَدْعُ على شيء بعدها. ومن أجمل دعائه ما رواه إسحاق بن سليمان، قال: سمعت أبا سنان يحدثنا عن سعيد بن جبير: أنه كان يدعو: اللَّهم! إني أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك. وروى أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا الحسين بن الأسود العجلي، قالوا: ثنا محمد بن فضيل. ثنا ضرار بن مرة الشيباني، عن سعيد بن جبير، قال: التوكل على الله جمَاعُ الإيمان.

تمنّيه الشهادة:

وروى محمد بن إسحاق، ثنا هناد بن السريِّ، ثنا قبيصة، ثنا سفيان، عن

عمرو بن سعيد بن أبي حسين، قال: أخبرني كثير بن تميم الداري، قال: كنت جالساً مع «سعيد بن جبير» فطلع عليه ابنه «عبد الله بن سعيد»، وكان به من الفقه، فقال: إني لأعلم خير حالاته، فقال: وما هو؟ قال: أن يموت فأحتسبه. وعن عبد الرحمٰن بن العباس، ثنا إبراهيم الحربي، ثنا إسحاق بن إسماعيل، ثنا سُفْيان، عن حميد الأعرج، قال: أقبل ابن لسعيد بن جبير، فقال: إني لأعلم خَير خَلَّة فيه، أن يموت فأحتسبه. وروى أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق الثقفي، ثنا الحسن بن عبد العزيز الجروي، ثنا يحيى بن حسان، ثنا صالح بن عمرو، عن داود بن أبي هند، قال: [لما أخذ الحجاجُ «سعيدَ بنَ جبير»، قال: ما أراني إلا مقتولاً، وسأخبركم أني كنت أنا وصاحبين لي، دَعَوْنا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبيَّ رزقها، وأنا أنتظرها. قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء].

جهاده:

شارك «سعيد بن جبير» في الفتوحات التي تمَّت في زمن «الحجاج». ولما خرج الفقيه «عبد الرحمٰن بن الأشعث» على الطاغية، كان «سعيد» إلى جانب «ابن الأشعث»، ولما قضي على جيشه، تمكن «سعيد» من الإفلات من جماعة «الحجاج» وظل يتنقل خفية، حتى استقرَّ به المقام في مكة المكرمة ـ حرسها الله تعالى ـ. وبعث «الحجاج» والياً على مكة، هو «خالد بن عبد الله القَسْري» فقبض «خالد» على «ابن جبير» وبعث به مصفَّداً إلى «الحجاج» ليقتله. وقد روى أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبو كريب، وحدثني أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا واصل بن عبد الأعلى، ثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، قال: أتيت «سعيد بن جبير» بمكة، فقلت: إن هذا الرجل قادم ـ يعني: خالد بن عبد الله القسري ـ ولا آمنه عليك، فأطعني واخرج، فقال: والله، لقد فررت، حتى استحييت من الله! قلت: والله، إني لأراك كما سمتك أمك سعيداً، قال: فقدم مكة، فأرسل إليه فأخذه، ـ زاد واصل في حديثه ـ قال: فأخبرني يزيد، أبو عبد الله، قال: أتينا «سعيد بن جبير» حين جيء به، فإذا هو طيب النفس، وبُنَيَّةٌ له في حِجْرِه، فنظرتْ إلى القيد فبكتْ، قال: فتتبعناه إلى باب الجسر، فقال له الحرس: أعطنا كفلاء، فإنا نخاف أن تغرق نفسك. قال: يزيد، فكنت فيمن تكفل به. وذكر عبد الرحمٰن بن العباس، ثنا إبراهيم بن

إسحاق الحربي، ثنا أحمد بن منصور، ثنا أبو حذيفة، ثنا سفيان، عن عمرو بن سعيد، قال: دعا «سعيد بن جبير» ابنه حين دعي ليقتل، فجعل ابنه يبكي، فقال: ما يبكيك؟ وما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة؟ وروى أبو بكر، ثنا عبد الله، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا أبو أسامة، عن إسماعيل بن زربيٍّ، قال: سمعت «سعيد بن جبير» يقول: ما زال البلاء بأصحابي حتى رأيت أن ليس لله فيَّ حاجة، حتى نزل بي البلاء.

مصرع ابن جبير:

لما أرسل الحجاج الأثيم من يأتيه بسعيد بن جبير، اختار عشرين رجلاً من أهل الشام من خاصة أصحابه لهذا الأمر، وجعل عليهم رجلاً يقال له «المتلمس»، وفي الطريق، مروا بصومعة راهب فسألوه عنه، حتى إذا وصفوه له دلَّهم عليه، فانطلقوا إليه، فوجدوه يصلي ويناجي ربه، وحين فرغ، قالوا له: أجب «الحجاج» يدعوك، فمشى معهم حتى وصلوا الراهب والليل قد أظلم، فدعاهم الراهب للدخول لأن الأرض ذات سباع، فقرروا الدخول، وأبى «سعيد» أن يدخل، فقالوا: لعلك تريد الهرب، قال: لا، بَيْد أني لا أدخل دار مشرك، فقالوا: لا ندعك لتأكل السباع، فقال: إن ربي يحميني منها، ثم إنه أعطاهم موثقاً من الله العظيم ألّا يبرح مكانه حتى الصباح. وأوتروا قِسِيَّهم، وجعلوا يرقبونه ليمنعوا عنه أذى السباع، فجاءت لبوة فدنت منه وتشمَّمته، ثم تَمسَّحَت به، وربضت بقربه، ثم جاء أسد فصنع مثلها، فلما رأوا ذلك، نزل الراهب، فسأله عن دينه، ورسوله، وما جاء به؟ فأخبره «سعيد» فأسلم، وأقبل الرجال عليه، يقبلون يديه ورجليه، ويعتذرون إليه، ويقولون: إن الحجاج حلَّفهم بالطلاق والعتاق إن رأوا «سعيداً» ولا يدعونه حتى يأتوه به، وقالوا له: مرنا بما شئت، فقال سعيد: امضوا لأمركم فإني لائذ بخالقي ولا راد لقضائه. وأخذوا يبكون ويعتذرون إليه، ويتوسلون إليه ليَعْذِرهم عند خالقهم يوم الحشر الأكبر، وراحوا يدعون على أنفسهم بالويل والثبور كيف ابتُلُوا به، ثم قدموا به على «الحجاج».

ودخل «المتلمس» ليخبر «الحجاج» فبادره بقوله: أتيتموني بسعيد بن جبير؟ قال: نعم، فأمر بإدخاله عليه، فلما دخل قال له: ما اسمك؟ ـ وهو يعرفه ـ فقال: «سعيد بن جبير» فقال عدو الله: بل أنت الشقي ابن كسير، قال: قد كانت أمي أعلم باسمي منك. قال: شقيتَ أنتَ وشقيت أمك، قال: الغيب يعلمه

غيرُك. قال: لأبدلَنَّكَ بالدنيا ناراً تلظَّى، قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلٰهاً. فقال: فما قولك في «محمد؟»، قال: نبي الرحمة، إمام الهدى عليه الصلاة والسلام. قال: فما قولك في «علي» في الجنة هو أو في النار؟ قال: لو دخلتها فرأيت أهلها، عرفت من فيها، قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: فأيهم أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي. قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم. قال: أبيت أن تَصْدُقني، قال: إني لم أحب أن أكذبك. قال: فما بالك لم تضحك؟ قال: وكيف يضحك مخلوق خلق من الطين، والطين تأكله النار، قال: فما بالنا نضحك؟ قال: لم تستوِ القلوب. قال الباغي: اختر يا سعيد! أي قتلة تريد أن أقتلك؟ قال: اختر لنفسك يا «حجاج»! فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة. قال: أفتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو فمن الله! وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر. ثم قال له: فما تقول فيَّ؟ قال: أنت أعلم ونفسك، قال: بُتَّ بعلمك، قال: إذن يسوءَك ولا يسرك، قال: بُتَّ بعلمك، قال: أعفني، قال: لا عفا الله عني إن أعفيتك. قال: إني لأعلم أنك مخالف لكتاب الله تعالى، ترى من نفسك أموراً تريد بها الهيبة، وهي تقحمك الهلكة، وسترد غداً فتعلم. قال: أما والله، لأقتلَنَّك قتلة لم أقتلها أحد قبلك، ولا أقتلها أحداً بعدك. قال: إذن تفسدَ عليَّ دنياي، وأفسد عليك آخرتك. قال: يا غلام! السيفَ والنِّطَعَ، قال: فلما ولَّى ضحك، قال: أليس قد بلغني أنك لم تضحك؟ قال: وقد كان ذلك. قال: فما أضحك عند القتل؟ قال: عجبت من جراءتك على الله، وحِلْم الله عنك، فأمر بالنِّطَع فبسط، فقال: اقتلوه. فقال «سعيد»: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩] قال: شدوا به لغير القبلة، قال «سعيد»: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٤] قال: كُبُّوه لوجهه، قال «سعيد»: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]. فهاج «الحجاج» وصرخ: اذبحوه، اذبحوه. وقبل أن يُسْكِتَ السيفُ الغاشمَ صَوْتَ الإيمان في صدر «سعيد» قال: (أما إني أشهد وأحاج أن لا إله إلا الله وحدهْ لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة، ثم دعا الله فقال: اللَّهم! لا تسلطه على أحد يقتله بعدي). وذبح «سعيد» ذبح النعاج، بأمر من الباغي الأثيم «الحجاج» قاتل الفقهاء، ومبير العلماء.

روي أن «الحجاج» ذكر في مجلس العبد الصالح، خامس الخلفاء الراشدين «عمر بن عبد العزيز» فقال: (لو أن أمم الأرض جاءت بخطاياها، وجئنا بالحجاج لَرَجَمْنَاهم). وبعد ليال معدودات وقعت الأكلة في بطن «الحجاج» فدعا الطبيب ليراه، فلما بَصُر به، أمر أن يؤتى بلحم منتن، فعلقه بخيط، ثم جعله في حلقه ساعة ولما استخرجه وجد الدم عليه، فعلم أنه ليس بناج، ثم هلك، ولا نقول: لحق بسعيد بن جبير، لأن سبيليهما مختلفان، غير أن لقَّاءهما محتم أمام الملك الديَّان، ليسأله عن قتل خواصه، ومنهم «سعيد بن جبير» سعيد الدارين، رحمه الله تعالى.

ogeikandl.com

٨ ـ أُوَيسٌ القَرنيُّ

«أُوَيْسٌ» خير التابعين، كما وصفه الصادق الأمين، عليه صلوات ربي وسلاماته إلى يوم الدين. كان في زمن النبي ﷺ، لكنه لم يره.

أبوه «عامر بن جَزْء بن مالك» القَرَني، ينسب إلى بلدة في اليمن يقال لها «قَرَن».

من فضائل أُوَيس:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه باب: من فضائل «أُوَيْس القَرَنِيِّ» رضي الله عنه الأحاديث التالية:

حدثني زهير بن حرب، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثني سعيد الجُرَيْري، عن أبي نضرة، عن أُسَيْر بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى «عمر»، وفيهم رجل مِمَّن كان يسخر بأُوَيْس، فقال «عمر»: هل هٰهُنا أحد من القَرَنيين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال «عمر»: إن رسول الله ﷺ قد قال: «**إن رجلاً يأتيكم من اليمن، يقال له: أُوَيْسٌ، لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض، فدعا الله فأذهبه عنه، إلا موضعَ الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم**» [(١)].

حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن المثنى، قالا: حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا حمادٌ (هو ابن سَلَمة)، عن سعيد الجُرَيْري، بهذا الإسناد، عن «عمر بن الخطاب»، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن خير التابعين رجل يقال له: «أُوَيْسٌ» وله والدة، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم**» [(٢)].

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٣/٢٥٤٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٤/٢٥٤٢).

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظليُّ ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار (قال إسحاق: أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا) ـ واللفظ لابن المثنى ـ حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أُسَيْر بن جابر، قال: كان «عمر بن الخطاب»، إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم «أُوَيْسُ بن عامر؟» حتى أتى على «أُوَيْس». فقال: أنت «أُوَيْسُ بن عامر؟» قال: نعم. قال: من مُرَادٍ ثم قَرَنٍ؟ قال: نعم. قال: فكابدك برص فبرئتَ منه إلا موضعَ درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يأتي عليكم «أُوَيْسُ بن عامر» مع أمداد أهل اليمن، من مُرَاد، ثم من قَرَن، كان به برص فبرىء منه إلا موضعَ درهم، له والدة هو بها بَرٌّ، لو أقسم على الله لأبَرَّه، فإن استطعتَ أن يستغفر لك فافعل»** فاستغفر لي، فاستغفر له. فقال له «عمر»: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غَبْراء الناس ـ أي: ضعافهم وصعاليكهم وأخلاطهم الذين لا يؤبه لهم ـ أحبُّ إليَّ. قال: فلما كان من العام المقبل، حج رجل من أشرافهم، فوافق «عمرَ»، فسأله عن «أُوَيْس» قال: تركته رثَّ البيت، قليل المتاع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يأتي عليكم «أُوَيْسُ بن عامر» مع أمداد أهل اليمن، من مراد، ثم من قَرَن، كان به برصٌ فبرىء منه، إلا موضعَ درهم، له والدة هو بها بَرٌّ، لو أقسم على الله لأبَرَّهُ، فإن استطعتَ أن يستغفر لك فافعل»**. فأتى «أُوَيْساً»، فقال: استغفر لي، قال: أنت أحدث عهداً بسفر صالح، فاستغفر لي، قال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهداً بسفر صالح، فاستغفر لي. قال: لقيتَ «عمرَ؟»، قال: نعم، فاستغفر له. ففطِنَ له الناس، فانطلق على وجهه، قال أُسَيْرٌ: وكسوتُه بردة، فكان كلما رآه إنسان، قال: من أين لأُوَيْسٍ هذه البردة؟) [(١)].

فقر أُوَيس:

أخرج «أبو نعيم» في «حلية الأولياء»: [سيد العبَّاد، وعلم الأصفياء من الزهاد «أُوَيْسُ بن عامر القَرَني»، بشَّر النبي ﷺ به، وأوصى به أصحابه. حدثنا أبو بكر بن محمد بن جعفر بن الهيثم، ثنا أحمد بن الخليل البُرْجُلاني، ثنا أبو

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٤/٢٥٤٢).

النضر، ثنا سليمان بن المغيرة، عن سعيد الجُرَيْري، عن أبي نضرة، عن أُسَيْر بن جابر، قال: كان محدث بالكوفة يحدثنا، فإذا فرغ من حديثه يقول: تفرقوا، ويبقى رهط فيهم رجل يتكلم بكلام لا أسمع أحداً يتكلم بكلامه، فأحببته، ففقدته، فقلت لأصحابي: هل تعرفون رجلاً كان يجالسنا كذا وكذا؟ فقال رجل من القوم: نعم أنا أعرفه، ذاك «أُوَيْسٌ القَرَني» قلت: أفتعرف منزله؟ قال: نعم. فانطلقت معه، حتى جئت حجرته، فخرج إليَّ، فقلت: يا أخي! ما حبسك عنا؟ قال: العري. قال: وكان أصحابه يسخرون منه ويؤذونه. قال: قلت: خذ هذا البُرْدَ فالبسه، قال: لا تفعل فإنهم يؤذونني إذا رأوه. قال: فلم أزل به حتى لبسه، فخرج عليهم، فقالوا: من ترون خدع عن برده هذا؟ فجاء فوضعه، فقال: أترى؟ قال: فأتيت المجلس، فقلت: ما تريدون من هذا الرجل؟ قد آذيتموه، الرجل يعرى مرة ويكتسي مرة، قال: فأخذتهم بلساني أخذاً شديداً، قال: فقضى أن أهل الكوفة وفدوا إلى «عمر بن الخطاب» فوجد رجل ممن كان يسخر به، فقال «عمر» هل هٰهُنا أحد من القَرَنيين؟ قال: فجاء ذاك الرجل، فقال: أنا. قال: إن رسول الله ﷺ قد قال: «**إن رجلاً يأتيكم من اليمن، يقال له «أُوَيْس» لا يدع باليمن غير أم له، وقد كان به بياض، فدعا الله تعالى فأذهبه عنه إلا مثلَ موضع الدينار ـ أو الدرهم ـ فمن لقيه منكم، فمروه، فليستغفر لكم**». قال: فقدم علينا، قال: فقلت: من أين؟ قال: من أهل اليمن، قلت: ما اسمك؟ قال: «أُوَيْس»، قال: فمن تركت باليمن؟ قال: أُمًّا لي، قال: أكابدك بياض فدعوت الله، فأذهب عنك؟ قال: نعم، قال: فاستغفر لي، قال: أو يستغفر مثلي لمثلك يا أمير المؤمنين؟ قال: فاستغفر له. قال: قلت: أنت أخي لا تفارقني، قال: فانملس مني، وأنبئت أنه قدم عليكم الكوفة، قال: فجعل ذلك الرجل الذي كان يسخر منه يحقره، قال: يقول: ما هذا فينا ولا نعرفه، قال «عمر»: بلى! إنه رجل كذا كأنه يضع شأنه، قال: فينا رجل يا أمير المؤمنين! يقال له: «أُوَيْسٌ»، قال: أدرك ولا أراك تدرك، فأقبل ذلك الرجل حتى دخل عليه، قبل أن يأتي أهله، فقال له «أُوَيْسٌ»: ما هذه بعادتك، فما بدا لك؟ قال: سمعت «عمر بن الخطاب» يقول: كذا وكذا، فاستغفر لي يا «أُوَيْس»!، قال: لا أفعل حتى تجعل لي عليك ألّا تسخر بي فيما بعد، وألّا تذكر الذي سمعته من «عمر» إلى أحد، فاستغفر له. قال «أُسَيْرٌ»: فما لبثنا أن فشا أمره بالكوفة، قال: فدخلت عليه فقلت: يا أخي! ألا أراك العجب ونحن لا نشعر؟ فقال: ما كان في هذا ما أتبلغ به في الناس،

وما يجزى كل عبد إلا بعمله، قال: ثم انملس منهم، فذهب] [(١)].

أُوَيسٌ من أهل الجنة:

أخبر رسول الله ﷺ أصحابه: أن «أُوَيْساً» من أهل الجنة، ففي الحديث الذي رواه سلمة بن شبيب، ثنا الوليد بن إسماعيل الحراني، ثنا محمد بن إبراهيم بن عبيد، حدثني مجالد بن يزيد، عن نوفل بن عبد الله عن الضحاك بن مزاحم، عن أبي هريرة، قال: بينا رسول الله ﷺ في حلقة من أصحابه إذ قال: **«ليصلِيَنَّ معكم غداً رجل من أهل الجنة»**. قال أبو هريرة: فطمعت أن أكون أنا ذلك الرجل، فغدوت فصليت خلف النبي ﷺ، فأقمت في المسجد حتى انصرف الناس، وبقيت أنا وهو، فبينا نحن عنده، إذ أقبل رجل أسود متزر بخرقة، مرتد برقعة، فجاء حتى وضع يده في يد رسول الله ﷺ، ثم قال: يا نبي الله! ادعُ الله لي، فدعا النبي ﷺ له بالشهادة، وإنا لنجد منه ريح المسك الأذفر، فقلت: يا رسول الله! أهو هو؟ قال: **«نعم! إنه لمملوك لبني فلان»**، قلت: أفلا تشتريه، فتعتقه يا نبي الله! قال: **(وأنَّى لي ذلك، إن كان الله تعالى يريد أن يجعله من ملوك الجنة؟ يا أبا هريرة! إن لأهل الجنة ملوكاً وسادة، وإن هذا الأسود أصبح من ملوك الجنة وسادتهم، يا أبا هريرة! إن الله تعالى يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء، الشعثة رؤوسهم، المغبرة وجوههم، الخمصة بطونهم، إلا من كسب الحلال، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يُشْهَدُوا»**. قالوا: يا رسول الله! كيف لنا برجل منهم؟ قال: **(ذاك أُوَيْسٌ القَرَنيُّ)**، قالوا: وما أُوَيْسٌ القَرَنيُّ؟ قال: **«أشهل ذو صهوبة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، آدم شديد الأدمة، ضارب بذَقَنِهِ إلى صدره، رامٍ بِذَقَنِهِ إلى موضع سجوده، واضع عينيه على شماله، يتلو القرآن، يبكي على نفسهُ، ذو طِمْرَيْن لا يؤبه له، متزر بإزار صوف، ورداء صوف، مجهول في أهل الأرض، معروف في أهل السماء، لو أقسم على الله لأبَرَّ قسمه، ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، ألا وإنه إذا كان يوم القيامة، قيل للعباد: أدخلوا الجنة، ويقال لأُوَيْسٍ: قف فاشفع، فيشفع الله**

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ٧٩ ـ ٨٠).

عز وجل في مثل عدد ربيعة ومضر، يا عمر! ويا علي! إذا أنتما لقيتماه، فاطلبا إليه أن يستغفر لكما يغفر الله تعالى لكما». قال: فمكثا عشر سنين يطلبانه لا يقدران عليه، فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها «عمر» في ذلك العام، قام على «أبي قُبَيْس» فنادى بأعلى صوته: يا أهل الحجيج من أهل اليمن! أفيكم «أُوَيْسٌ» من مراد؟ فقام شيخ كبير طويل اللحية، فقال: إنا لا ندري ما أُوَيْسٌ؟ ولكن ابن أخ لي يقال له: «أُوَيْسٌ»، وهو أخمل ذكراً، وأقل مالاً، وأهون أمراً من أن نرفعه إليك، وإنه ليرعى إبلنا، حقير بين أظهرنا، فعمَّى عليه «عمر» كأنه لا يريده، قال: أين ابن أخيك هذا؟ أبِحَرَمِنا هو؟ قال: نعم! قال: وأين يصاب؟ قالوا: بأراك عرفات. قال: فركب «عمر» و«علي» سراعاً إلى عرفات، فإذا هو قائم يصلي إلى شجرة، والإبل حوله ترعى، فشدَّا حماريهما، ثم أقبلا إليه فقالا: السلام عليك ورحمة الله، فخفف «أُوَيْسٌ» الصلاة، ثم قال: السلام عليكما ورحمة الله وبركاته، قالا: من الرجل؟ قال: راعي إبل وأجير قوم، قالا: لسنا نسألك عن الرعاية ولا الإجارة، ما اسمك؟ قال: عبد الله، قالا: قد علمنا أن أهل السمٰوات والأرض كلهم عبيد الله، فما اسمك الذي سمتك أمك؟ قال: يا هذان! ما تريدان إليَّ؟. قالا: وصف لنا محمد ﷺ «أُوَيْساً القَرَنيَّ» فقد عرفنا الصهوبة والشهولة، وأخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء فأوضِحْها لنا، فإن كان بك فأنت هو، فأوضح منكبه فإذا اللمعة، فابتدراه يقبلانه، قالا: نشهد أنك «أُوَيْسٌ القَرَني» فاستغفر لنا يغفر الله لك. قال: ما أخص باستغفاري نفسي ولا أحداً من ولد «آدم»، ولكنه في البر والبحر، في المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، يا هذان! قد أشهد الله لكما حالي، وعرفكما أمري، فمن أنتما؟ قال «علي» رضي الله عنه: أما هذا فعمر أمير المؤمنين، وأما أنا فعلي بن أبي طالب، فاستوى «أُوَيْسٌ» قائماً، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته! وأنت يابن أبي طالب، فجزاكما الله عن هذه الأمة خيراً. قالا: وأنت جزاك الله عن نفسك خيراً، فقال له «عمر»: مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة، فآتيك بنفقة من عطائي، وفضل كسوة من ثيابي، هذا المكان ميعاد بيني وبينك. قال: يا أمير المؤمنين! لا ميعاد بيني وبينك، لا أراك بعد اليوم تعرفني، ما أصنع بالنفقة؟ ما أصنع بالكسوة؟ أما ترى عليَّ إزاراً من صوف، ورداء من صوف؟ متى تراني أخرقهما؟ أما ترى أن نعليَّ مخصوفتان؟ متى تراني أبليهما أما تراني أني قد أخذت من رعايتي أربعة دراهم؟ متى تراني آكلها؟ يا أمير المؤمنين! إن بين يديَّ

ويديك عقبة كَؤُوداً لا يجاوزها إلا ضامر مُخِفٌّ مهزول، فأَخِفَّ يرحمك الله، فلما سمع «عمر» ذلك من كلامه ضرب بِدِرَّتِهِ الأرض، ثم نادى بأعلى صوته: ألا ليت أن «أم عمر» لم تلده، يا ليتها كانت عاقراً لم تعالج حملها، ألا من يأخذها بما فيها ولها؟ ثم قال: يا أمير المؤمنين! خذ أنت ههُنا، حتى آخذ أنا ههُنا. فولى «عمر» ناصية مكة، وساق «أُوَيْسٌ» إبله، فوافى القوم إبلهم، وخلَّى عن الرعاية، وأقبل على العبادة، حتى لحق بالله ﷻ.

وعظ أُوَيس لهرم بن حيان:

كان «هرم بن حيان» شديد الرغبة في لقاء «أُوَيْسِ بن عامر» حتى إذا التقيا دار بينهما هذا الحديث الذي أخرجه صاحب الحلية، فقال:

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا محمد بن العباس بن أيوب، ثنا يحيى بن محمد بن السكن، ثنا يحيى بن كثير؛ أبو غسان، ثنا الهيثم بن جرموز، عن حمدان، عن سليمان التيمي، عن أسلم العجلي، عن أبي [1] الجرمي، عن هرم بن حيان العبدي: قال: قدمت الكوفة، فلم يكن لي هَمٌّ إلا «أُوَيْسٌ» أسأل عنه، فدفعت إليه بشاطىء الفرات يتوضأ ويغسل ثوبه، فعرفته بالنعت، فإذا رجل آدم محلوق الرأس، كث اللحية، مهيب المنظر، فسلمتُ عليه، ومددتُ إليه يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني، فخنقتني العبرة لما رأيت من حاله، فقلت: السلام عليك، يا أُوَيْسُ! كيف أنت يا أخي؟! قال: وأنت فحيَّاك الله، يا «هرم بن حيان»، من دلَّك عليَّ؟ قلت: الله ﷻ، قال: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً. قلت: يرحمك الله، من أين عرفت اسمي واسم أبي؟ فوالله ما رأيتك قط ولا رأيتني. قال: عرفت روحي روحك حيث كلمت نفسي، لأن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد، وإن المؤمنين يتعارفون بروح الله ﷻ، وإن نأت بهم الدار، وتفرقت بهم المنازل. قال: قلت: حدثني عن رسول الله ﷺ حديثاً لأحفظه عنك. قال: إني لم أدرك رسول الله ﷺ، ولم يكن لي معه صحبة، وقد رأيت رجالاً رأوه، وقد بلغني عن حديثه كبعض ما يبلغكم، ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي، لا أحب أن أكون قاضياً أو مفتياً، في نفسي شغل. قال: قلت: فاتل آيات من كتاب الله ﷻ أسمعهن منك، فادع الله لي بدعوات وأوصني

(١) كذا في الأصل، وسيأتي في آخر الخبر أنه الضحاك الجرمي.

بوصيته. قال: فأخذ بيدي، وجعل يمشي على شاطىء الفرات، ثم قال: ربي وأحق القول قول ربي ﷻ، وأصدق الحديث حديث ربي ﷻ، وأحسن الكلام كلام ربي: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الدخان: ٤٠] قال: ثم شهق شهقة فأنا أحسبه قد غشي عليه، ثم قرأ: ﴿﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [الدخان: ٤١ ـ ٤٢]، ثم نظر إليَّ، فقال: يا هرم بن حيان! مات أبوك، ويوشك أن تموت، ومات «أبو حيان»، وإما إلى الجنة وإما إلى النار، ومات «آدم» وماتت «حواء» يابن حيان! ومات «إبراهيم خليل الرحمٰن» يابن حيان! ومات «موسى» نجي الرحمٰن يابن حيان! ومات «محمد» ﷺ وعليهم أجمعين يابن حيان! ومات «أبو بكر» خليفة المسلمين، ومات أخي وصديقي وصفيي «عمر»، واعمراه! واعمراه! قال: وذلك في آخر خلافة «عمر». قال: قلت: يرحمك الله، إن «عمر» لم يمت. قال: بلى، إن ربي ﷻ قد نعاه لي، وقد علمتُ ما قلتُ، وأنا وأنت غداً في الموتى، ثم دعا بدعوات خفاف، ثم قال: هذه وصيتي لك يابن حيان! كتاب الله ﷻ، ونعى الصالحين من المؤمنين، والصالحين من المسلمين، ونعيتُ لك نفسي فعليك بذكر الموت، فإن استطعت ألّا يفارق قلبك طرفة عين فافعل، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، واكدح لنفسك، وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تشعر فتموت فتدخل النار يوم القيامة، ثم قال: اللَّهم! إن هذا يزعم أنه يحبني فيك، وزارني من أجلك، فأدخله عليَّ زائراً في الجنة دار السلام، وأرضه من الدنيا باليسير، وما أعطيه من شيء في الدنيا في يسير وعافية، واجعله لما تعطيه من العمل من الشاكرين. أستودعك الله يا «هرم بن حيان»!، والسلام عليك، لا أراك بعد اليوم تطلبني، ولا تسأل عني، أذكُرُك وأدعو إن شاء الله، انطلق ههنا، حتى أنطلق ههنا، فطلبتُ أن أمشي معه ساعة، فأبى عليَّ، وفارقني يبكي وأبكي، ثم دخل في بعض السكك، فكم طلبته بعد ذلك، وسألت عنه، فما وجدتُ أحداً يخبرني عنه بشيء] [(١)]، رواه يوسف بن عطية الصغار، عن سليمان التيمي مثله، وقال الضحاك الجرمي، عن هرم، ورواه سيف بن هارون البرجمي عن منصور بن مسلم، عن شيخ من بني حرام، قال: سمعت هرم بن حيان العبدي يقول:

(١) حلية الأولياء (٢/ ٨٤ ـ ٨٦).

خرجت من البصرة في طلب «أُوَيْس القَرَني» فقدمت الكوفة، فذكر نحوه، ورواه أبو عصمة عن هرم نحوه.

تصدق بثيابه:

كان «أُوَيْسٌ» كثير الصدقة، فإن لم يجد ما يتصدق به، خلع ثيابه وتصدق بها، وجلس عُرْياناً، ففي الحديث الذي رواه أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، وعبيد الله بن عمر، قالا: ثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، ثنا عبد الله بن الأشعث بن سوار، عن محارب بن دثار، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أمتي من لا يستطيع أن يأتي مسجده أو مصلاه من العُرْيِ، يحجزه إيمانه أن يسأل الناس، منهم «أُوَيْس القَرَني» و«فرات بن حيان»**». وعن أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا أبو بكر بن عياش، عن مغيرة، قال: وكان «أُوَيْس القَرَني» ليتصدق بثيابه حتى يجلسه عُرْياناً، لا يجد ما يروح فيه ـ أي: إلى الجمعة ـ.

وفاته:

رزق الله تعالى «أُوَيْساً» الشهادة، ورجَّح الكثيرون ذلك، قال خير الدين الزركلي:

[أُوَيْس القَرَني: أحد النساك العباد، من سادات التابعين، يسكن القفار والرمال، أدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، فوفد على أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» في خلافته، ثم سكن الكوفة، وشهد موقعة «صِفِّين» مع أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب» ويرجح الكثيرون، أنه استشهد فيها، وذلك سنة (٣٧هـ ـ ٦٥٧م)] [(١)]. رحمه الله تعالى.

(١) الأعلام (٢/ ٣٢)، ونفح الطيب (٣/ ٢٧٢).

٩ ـ شُرَيح بن الحارث الكندي

تابعي كبير، وقاضٍ شهير، أبوه «الحارث بن قيس بن الجهم» الكندي، وكنيته «أبو أمية»، وجد في زمن النبي ﷺ، لكنه لم يلتق به، وهو من اليمن. عرف بذكائه الحاد، وذهنه الوقاد، والفهم والسداد. وكان يتفكر في غرائب صنع الله، وعجائب مخلوقاته، فقد روي عن «سعيد بن جبير» أنه قال: لقيت «شريحاً القاضي» ذاهباً، فقلت له: أين تريد؟ فقال: أريد الكُنَاسة ـ موضع بالكوفة ـ، فقلت: وما تصنع بالكُنَاسة؟ قال: أنظر إلى الإبل كيف خلقت [١].

سيرته في القضاء:

أفاد «شريح القاضي» علماً كثيراً بمخالطته للعلماء، ومذاكرته لهم، وقد روى «سفيان الأوسي» أنه قيل لشريح: بأي شيء أصبت هذا العلم؟ فقال: (بمعاوضته العلماء، آخذ منهم وأعطيهم). وأمضى في القضاء عمراً مديداً نيَّف على الستين عاماً، وقيل: نيَّف على السبعين عاماً دون انقطاع، وقد وَلَّاهُ «عمر بن الخطاب» أمير المؤمنين ﷺ قضاء الكوفة بعد ابتلائه، وإعجابه بحسن قضائه. وكان أمير المؤمنين «عمر» قد ابتاع من أعرابي فرساً، ودفع له ثمنه، ثم مضى بالفرس، فلما قطع به مسافة وجده قد أبطأ به وبدا عليه التعب، فَانقلب به إلى صاحبه الذي باعه إياه يريد رده لأنه معيب. فأبى الأعرابي رده واحتج بأنه باعه إياه سليماً، ثم إنهما اتفقا على أن يكون «شريح القاضي» حكماً بينهما. ولما عرضا الأمر عليه، قال «شريح»: هل كان الفرس سليماً حين ابتعته يا أمير المؤمنين قال «عمر»: نعم. قال «شريح»: إما أن تحتفظ بما ابتعت، أو ترده كما أخذت. فأطرق «عمر» ملياً، ثم قال: هكذا يكون القضاء، إنه حكم عدل، والتفت إلى «شريح» وأسند إليه قضاء الكوفة، فبقي مثابراً على عمله حتى ولاية «الحجاج» على العراق، فاعتزل.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري (١/١٦).

رأيه في الحجاج:

وسئل مرة: هل كان «الحجاج» مؤمناً؟ فأجاب: نعم، بالطاغوت، كافراً بالله تعالى، وقال قاذان: كان مفلساً من دينه. وقال طاوس: عجبت لمن يسميه مؤمناً. وقال بتكفيره جماعة منهم: «الشعبي» و«سعيد بن جبير» و«إبراهيم النخعي» و«مجاهد» و«عاصم بن أبي النجود»، وهؤلاء من أعلام التابعين، عليهم الرحمة والرضوان، وهم من كبار فقهاء الأمة، وعلمائها المرموقين، وأما أنا فأكِلُه إلى مالك يوم الدين.

حبه للدعابة والمزاح:

واشتهر «شريح القاضي» بحبه للدعابة والمزاح، حتى وهو يقضي بين الخصوم الماثلين بين يديه في مجلس القضاء. قال محمد بن إسحاق الثقفي، ثنا سواد بن عبد الله العبدي، ثنا العلاء بن جرير العنبري، قال: حدثني سالم؛ أبو عبد الله، قال: شهدت «شريحاً» وتقدم إليه رجل، قال: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. فقال: إني رجل من أهل الشام، فقال: بعيد سحيق، قال: إني تزوجت امرأة، قال: بالرفاء والبنين، قال: إني اشترطت لها دارها، قال: الشرط أملك، قال: اقض بيننا، قال: قد فعلت. وجَاءَ في رواية أخرى: أحكم بيننا، قال: قد حكمت، قال: على من؟ قال: على ابن أمك، قال: بشهادة مَنْ؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك.

نماذج من أقضيته:

من أبرز مزاياه خلال توليه منصب القضاء تركه المداهنة والمحاباة ومساواته بين المتقاضيين، حتى ولو كان أحدهما أمير المؤمنين، والآخر من العامة، فقد افتقد أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب» درعاً عزيزة عليه، ثم وجدها مع ذِمي، وهو يريد بيعها في السوق، فقال له: هذه درعي، فأنكر الذمي، وادعى أنها له، فعرض عليه الذمي الاحتكام إلى القاضي «شريح» ولما مثلا بين يديه، طلب «شريح» من أمير المؤمنين أن يتكلم، فقال: سقطت مني درعي، ولم أهبها ولم أبعها من أحد، فلما وجدتها معه وطلبت منه ردها إليَّ ادعى أنها له. ثم قال «شريح» للذمي: ما تقول أيها الرجل؟ فقال: الدرع لي وهي في يدي، ولست بمكذب أمير المؤمنين، قال «شريح»: أنت لست بمتهم عندي يا أمير المؤمنين، بيد أنه لا بد لك من شاهدين، قال: سآتيك بهما في الحال، ثم دعا خادمه

«قنبر» وولده «الحسن بن علي»، وقال: ها هما هذان شاهداي. قال القاضي: أما الخادم فأقبل شهادته، ولكني لا أجيز شهادة الولد لأبيه، قال «علي»: عجباً لك! ترد شهادة رجل من أهل الجنة، ألم تسمع أن رسول الله ﷺ قال: **«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»**؟ قال: بلى، سمعت، ولكن شهادة الابن لأبيه غير جائزة. فالتفت «علي» إلى الذمي، وقال: ليس عندي شاهداً آخر فخذها، واعترت الذمي الدهشة، ثم قال: إن ديناً يحكم قاضيه على أمير المؤمنين لمصلحة خصم له على غير دينه لدين حق، وهو أولى بالاتباع، ثم نطق بشهادة التوحيد، وأعلن إسلامه أمام القاضي، وقال: الحق أن الدرع لأمير المؤمنين وقد سقطت عن بعيره وهو ماضٍ إلى «صفين» فالتقطتها. قال «علي»: ما دمت قد أسلمت فقد وهبتكها، ويوم «النهروان» كان صاحب الدرع يقاتل إلى جانب أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه، ولما توقف القتال كان بين الشهداء. وروى محمد بن جعفر بن الهيثم، ثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، ثنا عبد الله بن صالح، ثنا عبثر، عن أجلح، عن رجل، قال: بينا أنا قاعد عند «شريح» إذ جاءته جدة صبي وأمه يختصمان فيه، كل واحدة تقول: أنا أحق به، فقالت الجدة:

أبا أمية أتيناك ... وأنت المرء نأتيه
أتاك ابن وأماه ... وكلتانا تفديه
فلو كنتِ تأيمتِ ... لما نازعتك فيه
تزوجت فهاتيه ... ولا يذهب بك التيه
ألا يا أيها القاضي ... فهذي قصتي فيه

فقالت الأم:

ألا يا أيها القاضي ... قد قالت لك الجدة
قولاً فاستمع مني ... ولا تنظرنني رده
تغري النفس عن ابني ... وكبدي حملت كبده
فلما صار في جحري ... يتيماً ضائعاً وجده
تزوجت رجاء الخير ... ر يكفيني فقده
ومن يظهر لي الود ... ومن يحسن لي رفده

فقال «شريح» رحمه الله:

قد سمع القاضي ما قلتما ... وعلى القاضي جهداً أن عقل
قال للجدة بيني بالصبي ... وخذي ابنك من ذات العلل
إنها لو صبرت كان لها ... قبل دعواها بغيها البدل

فقضى به للجدة.

وروى محمد بن عمر بن سالم، ثنا إبراهيم بن أسباط، ثنا علي بن الجعد، أخبرنا المسعودي عن أبي حصين، قال: سئل «شريح» عن شاة تأكل الدَّبَى [1]، فقال: علف مجان ولبن طيب. وقد يعمد الكذابون إلى البكاء ليوهموا الناظر إليهم أنهم صادقون كما فعل إخوة «يوسف» عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]. وقد أخرج ابن المنذر، عن الشعبي، قال: جاءت امرأة إلى «شريح» تخاصم في شيء، فجعلت تبكي، فقالوا: يا أبا أمية! أما تراها تبكي؟ فقال: قد جاء إخوة «يوسف» أباهم عشاء يبكون، وقال «الأعمش»: لا يصدق باكٍ بعد إخوة «يوسف» عليه السلام.

وروى أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا يحيى بن سعيد، عن أبي حيان التيمي، قال: ثنا أبي، قال: كان «شريح» إذا مات لأهله سِنَّوْر، أمر بها فألقيت في جوف داره، ولم يكن لها مثعب ـ ميزاب أو مجرى ـ شارع إلا في جوف داره، اتقاءً لأذى المسلم.

ثقته بالله وتوكله عليه:

روى أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا أبو كريب، ثنا محمد بن العلاء، قال: ثنا عثام بن علي، عن الأعمش، قال: اشتكى «شريح» رجله فطلاها بالعسل، وجلس في الشمس، فدخل عليه عُوَّاده، فقالوا: كيف تجدك؟ فقال: صالح، فقالوا: ألا أريتها الطبيب، فقال: قد فعلت، فقالوا: ما قال لك؟ قال: وعد خيراً. وعن أبي حامد بن جبلة أيضاً، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا أبو كريب، ثنا وكيع، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن شريح: أنه خرج بإبهامة قرحة، فقالوا: لو أريتها الطبيب، قال: هو الذي أخرجها. وروى أحمد بن سليمان، ثنا أحمد بن يحيى؛ ثعلب النحوي، ثنا عبد الله بن شبيب، حدثني عبد الرحمٰن بن عبد الله بن زياد بن مسعان، قال: كتب «شريح القاضي»

(١) الدَّبى: صغار الجراد.

إلى أخ له هرب من الطاعون: أما بعد، فإنك والمكان الذي أنت به بعيد مَنْ لا يعجزه مَنْ طلب، ولا يفوته من هرب، والمكان الذي خلفته لم يعجل أمر حمامه، ولم يظلمه أيامه، وإنك وإياهم لعلى بساط واحد، وإن المتجع من ذي قدرة لقريب، والسلام. وعن محمد بن عبد الله بن سعيد، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا أبو بكر، أبي شيبة، ثنا علي بن مسهر، عن الشيباني، عن الشعبي، عن شريح، أن «عمر» كتب إليه: إذا جاءك الشيء في كتاب الله فاقض به، ولا يلفتَنَّك عنه رجال، وإن جاءك ما ليس في كتاب الله، فانظر سنة نبيك ـ عليه السلام ـ فاقض بها، وإن جاءك ما ليس في كتاب الله، ولم يكن فيه سنة من رسول الله ﷺ فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به. وروى محمد بن عمر بن سلم، ثنا محمد بن خلف بن المرزبان، ثنا الرياشي، عن الأصمعي، قال: قال رجل لشريح: لقد بلغ الله بك يا أبا أمية، قال: إنك لتذكر النعمة في غيرك وتنساها فيك، قال: إني والله لأحسدك على ما أرى بك، قال: ما ينفعك الله بهذا ولا ضرني. وعن الحسن بن عبد الله بن سعيد، ثنا أبو روقٍ الهزاني، ثنا الرياشي، قال: قال رجل لشريح: إني أعهدك وإن شأنك لَشَوين [1]، فقال «شريح»: أراك تعرف نعمة الله على غيرك، وتجهلها في نفسك.

استشارة زياد بن سمية له:

أخرج أبو جعفر الطبري في تاريخه، قال: [حدثني عمر، قال: حدثني علي، قال: كتب «زياد» إلى «معاوية»: قد ضبطت لك العراق بشمالي، ويميني فارغة، فاشغلها بالحجاز، وبعث في ذلك «الهيثم بن الأسود النخعي»، وكتب له عهده مع «الهيثم»، فلما بلغ ذلك أهل الحجاز أتى نفر منهم «عبدَ الله بنُ عمر بن الخطاب» فذكروا ذلك له، فقال: ادعوا الله عليه يكفيكموه، فاستقبل القبلة واستقبلوها فدعوا ودعا، فخرجت طاعونة على أصبعه، فأرسل إلى «شريح» ـ وكان قاضيه ـ فقال: حدث بي ما ترى، وقد أُمِرْتُ بقطعها فأشر عليَّ، فقال له «شريح»: إني أخشى أن يكون الجراح على يدك، والألم على قلبك، وأن يكون الأجل قد دنا، فتلقى الله ﷻ أجذم، وقد قطعت يَدك كراهية للقائه، فتركها. وخرج «شريح» فسألوه، فأخبرهم بما أشار به، فلاموه وقالوا: هَلَّا أشرت عليه

(١) لَشَوِين: لكريه.

بقطعها! فقال: قال رسول الله ﷺ: «**المستشار مؤتمن**». وأضاف «أبو جعفر» فقال: حدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان، قال: قال عبد الله: سمعت بعض من يحدِّث أنه أرسل إلى «شريح» يستشيره في قطع يده، فقال: لا تفعل؛ إنك إن عشت صرت أجذم، وأن هلكتَ إياك جانياً على نفسك، قال: أنام والطاعون في لحاف واحد، فعزم أن يفعل، فلما نظر إلى النار، والمكاوي جَزِعَ، وترك ذلك[1].

شهوده حوار «علي» مع أحد القصاصين:

روى أحمد بن جعفر بن سلم الخَتِلَي، ثنا أحمد بن علي الأبَّار، ثنا علي، عبد الله بن معاوية بن ميسرة بن شريح القاضي، ثنا أبي، عن أبيه معاوية، عن ميسرة، عن شريح، قال: كنت مع «علي» رضي الله عنه في سوق الكوفة حتى انتهى إلى قاصٍّ يقص فوقف عليه، فقال: أيها القاص! تقص ونحن قريب العهد، أما إني أسألك، فإن تخرج عما سألتك وإلا أدبتك. قال القاص: سل يا أمير المؤمنين عما شئت! فقال علي: ما ثبات الإيمان وزواله؟ فقال القاص: ثبات الإيمان الورَع، وزواله الطمع، قال علي: فمثلك يقص.

إنكاره على ابنه ترك الكُتَّاب:

كان لـ«شريح» ولد يهرب من الكُتَّاب، فكتب أبياتاً إلى مؤدبه يشكوه، وقد روى أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق، حدثني عبد الله بن محمد، حدثني أبي، عن هشام بن محمد الكلبي، قال: حدثني رجل من ولد سعد بن أبي وقاص، قال:

كان لِـ«شريح» ابن يدع الكُتَّاب، ويهارش الكلاب، قال: فدعا بقرطاس ودواة، فكتب إلى مؤدبه:

ترك الصلاة لأكلبٍ يسعى بها ... طلب الهراش مع الغواة الرجَّس
فليَتْيَنَّكَ غدوةً بصحيفةٍ ... كتبت له كصحيفة المتلمِّس
فإذا أتاك فداوه بملامةٍ ... أو عظه موعظة الأديب الأكيسِ
وإذا هممت بضربه فَبِدُرَّة ... وإذا بلغت ثلاثة لك فاحبسِ

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٢٨٩).

واعلم بأنك ما أتيت منفه مع ما يُجَرِّعني أعزُّ الأنفسِ

اعتزاله الفتنة:

روى محمد بن معمر، ثنا أبو شعيب الحراني، ثنا يحيى بن عبد الله، ثنا الأوزاعي، حدثني عبدة بن أبي لبابة، قال: كانت فتنة «ابن الزبير» تسع سنين، فمكث «شريح» لا يخبر ولا يستخبر، رواه ابن ثوبان، عن عبدة، عن الشعبي، عن شريح.

وقال أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا محمد بن رافع، ثنا زيد بن الحباب، ثنا عبد الرحمٰن بن ثوبان، قال: أخبرني عبدة أنه سمع الشعبي، يقول: قال «شريح»: كانت الفتنة فما سألت عنها، فقال رجل: لو كنت مثلك ما باليت حتى مت، فقال له «شريح»: كيف بما في قلبي؟ وقال أحمد بن محمد بن سنان، ثنا أبو العباس السراج، ثنا محمد بن الصباح، أنبأنا جرير، عن الأعمش، عن شقيق، قال: قال «شريح» في الفتنة: ما استخبرت ولا أخبرت، ولا ظلمت مسلماً ولا معاهداً ديناراً ولا درهماً. قال: قلت له: لو كنت على حالك لأحببت أن أكون قدمت. قال: فأومأ إلى قلبه، فقال: كيف بهذا؟.

وقال أبو حامد بن جبلة: ثنا محمد بن إسحاق، ثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأُموي، ثنا أبي، قال: ثنا الأعمش، عن شقيق، قال: قال لي «شريح»: ما أخبرت ولا استخبرت منذ كانت الفتنة. قال: لو كنت مثلك لَسَرَّني أن أكون قدمت. قال: فكيف بما في صدري؟ تلتقي الفئتان إحداهما أحب إليَّ من الأخرى.

وعن إبراهيم بن عبد الله، ثنا أبو العباس السراج، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا كثير بن هشام، ثنا جعفر بن بُرْقان، قال: سمعت ميمون بن مهران يقول: قال «شريح» في الفتنة التي كانت على عهد «ابن الزبير»: ما سألت فيها ولا أخبرت. قال جعفر: وحدثني غير «ميمون» أنه قال: وأخاف ألّا أكون نجوت. وقال سليمان بن أحمد، ثنا علي بن عبد العزيز، ثنا عارم أبو النعمان، ثنا حماد بن زيد، عن شعيب بن الحجاب، عن إبراهيم ح. وحدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا إسماعيل بن علية، قال: ثنا ابن عون، عن إبراهيم، قال: كان «شريح» يقول: سيعلم الظالمون حق من نقضوا، إن الظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر النصر.

إسناده للحديث:

أسند «شريح بن الحارث» عن البدريين، منهم «عمر بن الخطاب» و«علي بن أبي طالب» . فقد روى محمد بن عبد الله بن سعيد، قال: ثنا عبدان بن أحمد، قال: ثنا محمد بن مضض، قال: ثنا بقية، قال: ثنا شعبة أو غيره، عن مجالد، عن الشعبي، عن شريح، عن عمر: أن رسول الله ﷺ، قال: «**يا عائشة! إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، أنهم أصحاب البدع، وأصحاب الأهواء، وأصحاب الضلالة من هذه الأمة. يا عائشة! إن لكل صاحب ذنب توبة إلا أصحاب الأهواء والبدع، أنا منهم بريء، وهم مني براء**». وقال سليمان بن أحمد، قال: ثنا أبو الزنباع، عن روح بن الفرج، ويحيى بن أيوب، قالا: ثنا يوسف بن عدي، قال: ثنا القاسم بن مالك، عن أشعث بن سوار، عن الشعبي، عن شريح، قال: قال «عمر بن الخطاب»: (لا تُغَالُوا بمهور النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا والآخرة، كان أحقكم بها وأولاكم بها «محمد» ﷺ وأهل بيته، ما تزوج امرأة من نسائه، ولا زَوَّج بنتاً من بناته بأكثر من اثنتي عشرة أوقية). وعن محمد بن كعب القرظي أن الحسن بن أبي الحسن حدثه: أنه سمع «شريحاً» وهو قاضي «عمر بن الخطاب» يقول: قال «عمر بن الخطاب»: قال رسول الله ﷺ: «**ستغربلون حتى تصيروا في حثالة من الناس قد مَرَجت عهودهم، وخربت أماناتهم**»، فقال قائل: فكيف بنا يا رسول الله؟ قال: «**تعملون بما تعرفون، وتتركون ما تنكرون، وتقولون: أحد أحد، انصرنا على من ظلمنا، واكفنا من بغانا**». وعن محمد بن عبد الله السلمي، عن شريح، قال: حدثني البدريون، منهم: «عمر بن الخطاب»: أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من شاب يدع لذة الدنيا ولهوها، ويستقبل بشبابه طاعة الله إلا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صِدِّيقاً**»، ثم قال: «**يقول الله تعالى: أيها الشاب التارك شهوته لي، المبتذل شبابه لي! أنت عندي كبعض ملائكتي**». وعن شريح، عن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «**الجنة مائة درجة، تسعة وتسعون درجة لأهل العقل، ودرجة لسائر الناس الذين هم دونهم**». وفي سنة (٧٨هـ) استوفى «شريح القاضي» أجله، ودفن بالكوفة، رحمه الله تعالى.

١٠ ـ طاوس بن كيسان

أحد أكابر التابعين، وعبد من عباد الله الصالحين، كان الحق غايته، ورضاء الله بغيته، لا يستشرف للعطية، ويعرض عن قبول الهدية. قال «عمرو بن دينار»: ما رأيت أحداً قط مثل «طاوس بن كيسان». ولد «طاوس» سنة ثلاث وثلاثين للهجرة المباركة، وهو من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى إلى اليمن.

نسبه:

أبوه «كيسان الخولاني» وكنيته أبو عبد الرحمٰن، ويقال: اسمه «ذَكْوَان». أدرك «طاوس» خمسين من كبار الصحابة وأعلامهم وعلمائهم، فأصاب منهم علماً غزيراً، وخيراً كثيراً، وفضلاً كبيراً. نصح للولاة والأمراء، من غير مَلَقٍ ولا رياء، ولم يخش في الحق لومة لائم، لأن الله خير حافظ وعاصم من مكر الماكرين، وكيد الخائنين. وكان في صلاته خشوع، وفي وعظه ما يَسْتَدِرُّ الدموع، وكان والي اليمن في زمانه «محمد بن يوسف الثقفي» شقيق الطاغية اللئيم، والباغي الأثيم «الحجاج»، وكان هذا الوالي نادر الحسنات، وافر السيئات، مكبًّا على المنكرات، وله الكثير من مثالب أخيه. جلس في مجلسه ذات ليلة شاتية، اشتد بردها، وادلَهَمَّ ظلامها، وعندها «طاوس بن كيسان» و«وَهْب بن منبه»، وأخذ «طاوس» يعظه وعظاً حسناً، وراح يرغبه تارة، ويرهبه تارة أخرى، وفيما هو مسترسل في حديثه، أشار الوالي إلى أحد غلمانه، فألقى على كتفي «طاوس» عباءة ثمينة، ومضى «طاوس» في موعظته دون أن يكترث لما صنع به غلام الأمير، وأخذ «أبو عبد الرحمٰن» يحرك كتفيه شيئاً فشيئاً حتى سقطت العباءة عن كاهليه. ثم انتصب واقفاً، وغادر المجلس. وضَعِقَ الوالي من تصرفه، وكاد يتميز من الغيظ، بيد أنه كظم غيظه، ولم ينبس ببنت شفة. ولما أصبح «طاوس» و«وَهْب» خارج المجلس، قال له صاحبه «وَهْب» وهو يحاوره: ما ضَرَّك لو أخذت العباءة منه، ثم تصدقت بها أو بثمنها على ذوي الحاجات والمساكين؟!

وبنفس مطمئنة إلى حسن ما فعل قال «طاوس»: خشيت أن تصبح سنَّة، ويقول العلماء بعدي: نأخذ كما أخذ «طاوس»، ثم يأبون أن يصنعوا كما كنت تقول. وبدا للوالي أن ينتقم من «طاوس» بمكيدة، فدعا أحد خاصته، وأعطاه كيساً من الدنانير الذهبية، ثم أمره أن يأتي بها «طاوساً» ليستعين بها في حياته. ووعده بالإحسان إليه إذا أقنعه بأخذها. واستبشر رسول الوالي خيراً، ولم يكن يعلم أن الخيبة ستكون عاقبة مسعاه، ولما استأذن على «طاوس» أذن له ورحَّب به، فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمٰن! لقد بعث الأمير إليك بهذه الصلة لتستعين بها في عيشك. فقال طاوس: ما بي حاجة إليها. فلما أيس من إقناعه بأخذها، اهتبل التفاتة منه، ثم رماها في كوة بجدار الحجرة التي تضمهما، ثم ودع الرسول «طاوساً» وانصرف. وعاد إلى الوالي ليخبره أن «طاوساً» أخذ الدنانير، فسُرَّ بذلك، وانتظر بضعة أيام، ثم أرسل إليه ثلاثة رجال وفيهم صاحب الكيس، وأمرهم أن يخبروه أن رسول الوالي أخطأ بتسليم الدنانير إليه، لأنها مرسلة إلى غيره، وقد أتوا لاستردادها وحملها إلى صاحبها، ولما طلبوا من «طاوس» رد المال، أنكر علمه به، ثم سأل الرجل: هل أخذت شيئاً منك؟ وارتبك الرجل، وقال: لا، بل وضعته لك في كوة الجدار. فقال لهم: انظروا في الكوة، فنظروا فإذا الكيس لم يُمَسَّ، فانطلقوا به إلى الوالي، وحين أنبأوه بما جرى، شعر بخيبة مريرة، وأدرك أن الكيد لِـ«طاوس» أمر محال، ومرام بعيد المنال.

بين عيسى وإبليس:

روى أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا إبراهيم بن نافع، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: لقي «عيسى بن مريم» إبليس، فقال إبليس لعيسى: أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك؟ قال: نعم، قال إبليس: فأوف بذروة هذا الجبل، فَتَرَدَّ منه، فانظر أتعيش أم لا؟ قال عيسى: أما علمت أن الله تعالى قال: لا يجربني عبدي، فإني أفعل ما شئت، وفي رواية عن الزهري عنه، قال: قال عيسى: إن العبد لا يختبر ربه، ولكن الربَّ يختبر عبده. وفي رواية أخرى: إن العبد لا يبتلي ربه، ولكن الرب يبتلي عبده، فخصمه عيسى عليه السلام.

بين طاوس وسليمان:

روى ابن كثير في البداية والنهاية، قال: ولما حج «سليمان بن عبد الملك»

قال: انظروا إليَّ فقيهاً أسأله عن بعض المناسك، قال: فخرج الحاجب يلتمس له، فمر «طاوس» فقالوا: هذا «طاوس اليماني»، فأخذه الحاجب، فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: اعفني، فأبى، فأدخله عليه. قال طاوس: فلما وقفت بين يديه، قلت: إن هذا المقام يسألني الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين! إن صخرة كانت على شفير جهنم، هوت فيها سبعين خريفاً حتى استقرت في قرارها، أتدري لمن أعدَّها الله؟ قال: لا، ويلك لمن أعدها الله؟ قال: لمن أشركه الله في حكمه فجار.

وفي رواية ذكرها الزهري: أن «سليمان» رأى رجلاً يطوف بالبيت، له جمال وكمال، فقال: من هذا يا زهري؟ فقلت: هذا «طاوس»، وقد أدرك عدة من الصحابة، فأرسل إليه «سليمان» فأتاه، فقال: لوما حدثتنا؟ فقال: حدثني «أبو موسى» فقال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهون الخلق على الله ﷻ من ولي من أمور المسلمين شيئاً فلم يعدل فيهم**». فتغير وجه «سليمان»، فأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه إليه، فقال: لوما حدثتنا؟ فقال: حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ ـ قال ابن شهاب: ظننت أنه أراد علياً ـ قال: دعاني رسول الله ﷺ إلى طعام في مجلس من مجالس قريش، ثم قال: «**إن لكم على قريش حقاً، ولهم على الناس حق، ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا ائتمنوا أَدَّوْا، فمن لم يفعل، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عدلاً**». قال: فتغير وجه «سليمان» وأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه إليه، وقال: لوما حدثتنا؟ فقال: حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١]. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبو معمر، عن ابن عيينة، عن إبراهيم بن ميسرة، قال: قال عمر بن عبد العزيز لطاوس: ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين ـ يعني: سليمان ـ فقال «طاوس»: مالي إليه من حاجة، فكأنه عجب من ذلك. قال سفيان: وحلف لنا إبراهيم، وهو مستقبل الكعبة: ورب هذا البيت، ما رأيت أحداً، الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا «طاوس». قال: وجاء ابن لسليمان بن عبد الملك، فجلس إلى جنب «طاوس» فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين، فلم تلتفت إليه، قال: أردت أن يعلم هو وأبوه أن لله عباداً يزهدون فيهم وفيما في أيديهم. وقد روى عبد الله بن أحمد، عن ابن

طاوس، قال: خرجنا حجاجاً، فنزلنا في بعض القرى، وكنت أخاف أبي من الحكام لشدته وغلظه عليهم، وقال: وكان في تلك القرية عامل لمحمد بن يوسف ـ أخي الحجاج بن يوسف ـ يقال له: «أيوب بن يحيى»، وقيل: يقال له: «ابن نجيح»، وكان من أخبث عمالهم كبراً وتجبراً، قال: فشهدنا صلاة الصبح في المسجد، فإذا «ابن نجيح» قد أخبر بطاوس، فجاء فقعد بين يدي «طاوس»، فسلم عليه فلم يجبه، ثم كلمه، فأعرض عنه، ثم عدل إلى الشق الآخر، فأعرض عنه، فلما رأيت ما به قمت إليه وأخذت بيده، ثم قلت له: إن أبا عبد الرحمٰن لم يعرفك، فقال «طاوس»: بلى! إني به لعارف، فقال الأمير: إنه بي لعارف، ومعرفته بي فعلت بي ما رأيت، ثم مضى وهو ساكت لا يقول شيئاً، فلما دخلت المنزل، قال لي أبي: يا لُكَعُ! بينما أنت تقول أريد أخرج عليهم بالسيف، لم تستطع أن تحبس عنهم لسانك.

مثل طاوس لا يخرف:

وقال أبو عبد الله الشامي: أتيت «طاوساً» فاستأذنت عليه، فخرج إليَّ ابنه، شيخ كبير، فقلت: أنت «طاوس»؟ فقال: لا، أنا ابنه، فقلت: إن كنت ابنه فإن الشيخ قد خَرِفَ، فقال: إن العالم لا يَخْرَف، فدخلت عليه، فقال «طاوس»: سل فأوجز، فقلت: إن أوجزت أوجزت لك، فقال: تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا التوراة والإنجيل والفرقان؟ قال: قلت: نعم. قال: خَفِ الله مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه، وارْجُهُ رجاء هو أشد من خوفك إياه، وأحب للناس ما تحب لنفسك. وقال الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: يجاء يوم القيامة بالمال وصاحبه فيتحاجَّان، فيقول صاحب المال للمال: جمعتك في يوم كذا، في شهر كذا، في سنة كذا، فيقول المال: ألم أقض لك الحوائج؟ أنا الذي حِلْتُ بينك وبين أن تصنع فيما أمرك الله ﷻ من حبك إيايَ، فيقول صاحب المال: إن هذا الذي نفد على حبال أوثق بها وأفيد. وقال عثمان بن أبي شيبة: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن الضريس، عن أبي سنان، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم قط: «عطاء» و«طاوس» و«مجاهد» و«سعيد بن جبير» و«عكرمة». وقال سفيان: قلت لعبد الله بن أبي يزيد: مع من كنت تدخل على ابن عباس؟ قال: مع «عطاء» والعامة، وكان «طاوس» يدخل مع الخاصة. وقال

«حبيب»: قال لي «طاوس»: إذا حدثتك حديثاً قد أثبته فلا تسأل عنه أحداً. وفي رواية: فلا تسأل عنه غيري] [١].

الحاجة إلى محادثة الناس:

لئن كانت للوحدة مساوىء كثيرة ومرارة كبيرة، إلا أنها أفضل من جليس السوء، والمرء إذا أسَنَّ وتقدم به العمر، يحتاج إلى جليس يؤنس وحدته، ويذهب وحشته، ويدفع عنه ما توسوس له به نفسه من سيىء الخواطر، وقبيح الأفكار. وقد روى الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: كان رجل فيما خلا من الزمان، وكان عاقلاً لبيباً، فكبر فقعد في البيت، فقال لابنه يوماً: إني قد اغتممت في البيت، فلو أدخلت عليَّ رجالاً يكلموني؟ فذهب ابنه فجمع نفراً، فقال: أدخلوا على أبي فحدثوه، فإن سمعتم منه منكراً فاعذروه، فإنه قد كبر، وإن سمعتم منه خيراً فاقبلوه، قال: فدخلوا عليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: إن أكيس الكيس التقى، وأعجز العجز الفجور، وإذا تزوج الرجل، فليتزوج من معدن صالح، فإذا اطَّلعتم على فجرة رجل فاحذروه، فإن لها أخوات.

ما عند إبليس إلا الشر:

قال ابن أبي السري: حدثنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: كان رجل من بني إسرائيل، وكان ربما داوى المجانين، وكانت امرأة جميلة فأخذها الجنون، فجيء بها إليه، فنزلت عنده فأعجبته، فوقع عليها فحملت، فجاءه الشيطان، فقال: إن عُلِمَ بها افتُضِحتَ، فاقتلها وادفنها في بيتك، فقتلها ودفنها، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها، قال: ماتت، فلم يتهموه لصلاحه ومنزلته. فجاءهم الشيطان، فقال: إنها لم تمت، ولكن قد وقع عليها فحملت، فقتلها ودفنها في بيته، في مكان كذا وكذا، فجاء أهلها فقالوا: ما نتهمك، ولكن أخبرنا أين دفنتها؟ ومن كان معك؟ فنبشوا بيته فوجدوها حيث دفنها، فأخذوه فحبسوه وسجنوه. فجاءه الشيطان، فقال: أنا صاحبك، فإن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه، فاكفر بالله، فأطاع الشيطان، فكفر بالله ﷻ فقُتِلَ، فتبرأ منه الشيطان حينئذ. وقال طاوس: ولا أعلم أن هذه الآية نزلت إلا فيه وفي مثله:

(١) البداية والنهاية (٩/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر: ١٦] (١).

لا خير في مال بغير بركة:

أخرج صاحب البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، عن الطبراني، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال:

كان رجل من بني إسرائيل له أربعة بنين، فمرض، فقال أحدهم: إمَّا أن تمرضوا أبانا وليس لكم من ميراثه شيء، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء، فمرَّضه حتى مات ودفنه، ولم يأخذ من ميراثه شيئاً. وكان فقيراً وله عيال، فأتي في النوم، فقيل له: إيت مكان كذا وكذا فاحفره تجد فيه مائة دينار فخذها، فقال للآتي في المنام: ببركة أو بلا بركة؟ فقال: بلا بركة. فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته، فقالت: اذهب فخذها، فإن من بركتها أن تكسوني فيها ونعيش منها، فأبى وقال: لا آخذ شيئاً ليس فيه بركة. فلما أمسى أتي في منامه فقيل له: إيت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير، فقال: ببركة أو بلا بركة؟ قال: بلا بركة، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته، فقالت له مثل ذلك، فأبى أن يأخذها، ثم أتي في الليلة الثالثة، فقيل له: إيت مكان كذا وكذا فخذ منه ديناراً، فقال ببركة أو بلا بركة؟ قال: ببركة، قال: نعم إذاً. فلما أصبح ذهب إلى ذلك المكان الذي أشير إليه في المنام، فوجد الدينار فأخذه، فوجد صياداً يحمل حوتين، فقال: بكم هما؟ قال: بدينار، فأخذهما منه بذلك الدينار، ثم انطلق بهما إلى امرأته، فقامت تصلحهما، فشقت بطن أحدهما، فوجدت فيه درة لا يقوَّم بها شيء ولم ير الناس مثلها، ثم شقت بطن الآخر، فإذا فيه درة مثلها، قال: فاحتاج ملك ذلك الزمان درة، فبعث يطلبها حيث كانت ليشتريها، فلم توجد إلا عنده، فقال الملك: إيت بها، فأتاه بها، فلما رآها حلَّاها الله ﷻ في عينيه، فقال: بِعْنيها، فقال: لا أنقصها عن وِقْر ثلاثين بغلاً ذهباً، فقال الملك: أرضوه، فخرجوا به فوقروا له ثلاثين بغلاً ذهباً، ثم نظر إليها الملك فأعجبته إعجاباً عظيماً، فقال: ما تصلح هذه إلا بأختها، اطلبوا لي أختها، قال: فأتوه فقالوا له: هل عندك أختها،

(١) البداية والنهاية (٩/ ٢٨٢).

ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟ قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، فأتى الملك بها، لما رآها أخذت بقلبه، فقال: أرضوه، فأضعفوا له ضعف أختها، والله أعلم [١].

ذكر الله يذهب الشيطان:

قال تعالى في تنزيله العزيز: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]. إن الشيطان وأعوانه يتربصون بابن آدم فإذا آنسوا منه غفلة عن ذكر الله أغووه وأوقعوه في حبائلهم، ومضوا به في طريق الغي والضلال، وارتكاب الفواحش والمنكرات، أما العبد الذي رطَّب لسانه بذكر الله، وكان في شُغُلٍ به عمن سواه، فما للشيطان إليه سبيل، وما له عليه من سلطان، قال بشر بن موسى، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: إذا غدا الإنسان أتبعه الشيطان، فإذا أتى المنزل فسلَّم نكص الشيطان، وقال: لا مقيل، فإذا أُتِيَ بغدائه، ولم يذكر اسم الله عليه، قال الشيطان: مقيل وغداء، وفي العشاء مثل ذلك، وقال: إن الملائكة ليكتُبون صلاة بني آدم: فلان زاد فيها كذا وكذا، وفلان نقص منها كذا وكذا، وذلك في الركوع والخشوع والسجود. وقال: لما خُلِقَت النار طارت أفئدة الملائكة، فلما خلق «آدم» سكنت، وكان إذا سمع صوت الرعد، يقول: سبحان من سُبِّحْتَ له!

رفقه باليتيم والعبد:

روى سليمان بن أحمد، ثنا محمد بن يحيى بن المنذر، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا أبو داود الطيالسي، عن رفعة بن صالح، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: من لم يدخل في وصية لم ينله جهد البلاء. وعن سليمان بن أحمد أيضاً، ثنا محمد بن يحيى بن المنذر، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا أبو داود الطيالسي، عن رفعة بن صالح، عن ابن طاوس ـ أو غيره ـ عن طاوس، قال: لم يجهد البلاء من لم يتولَّ اليتامى أو يكون قاضياً بين الناس في أموالهم أو أميراً على رقابهم. وعن أبي بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا أبي، ثنا عبد الرزاق، ثنا معمر: أن «طاوساً» أقام على رقيق له مريض حتى فاته الحج.

(١) البداية والنهاية (٩/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

إنكاره نوم السحر:

روى سليمان بن أحمد، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الرزاق، عن داود بن إبراهيم: أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج، فرق الناس بعضهم بعضاً، فلما كان السَّحَر ذهب عنهم فنزل الناس يميناً وشمالاً، فألقوا أنفسهم وناموا، فقام «طاوس» يصلي، فقال له رجل: ألا تنام، فإنك نَصِبت هذه الليلة؟ ـ أي: تعِبت فقال «طاوس»: وهل ينام السَّحَرَ أحدا؟ وقال أبو بكر بن مالك: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه: أن «طاوساً» قال له: أي أبا نجيح! مَنْ قال واتقى الله، خير ممن صَمَتَ واتقى الله. وقال أبو بكر بن مالك: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني محمد بن يزيد الكوفي، ثنا ابن يمان، عن مسعر، عن رجل، قال: أتى «طاوس» رجلاً في السَّحَرَ، فقالوا: هو نائم، قال: ما كنت أرى أن أحداً ينام في السَّحَر.

وصية طاوس لابنه:

عن عباد بن كثير، عن عبد الله بن طاوس، قال: قال لي أبي: يا بني! صاحب العقلاء تنسب إليهم، وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم، وإن لم تكن منهم، واعلم أن لكل شيء غاية، وغاية المرء حسن خلقه.

وفاته:

في عام ١٠٦هـ خرج إلى الحج للمرة الأربعين، فوافته المنية في المزدلفة أو منًى، فنال غاية المُنَى، رحمه الله تعالى.

obeikandl.com

١١ ـ عمر بن عبد العزيز

تابعي فاضل، وخليفة عادل، سلك مسلك «عمر بن الخطاب» ﷺ لما رأى فيه من الصواب، فالتفَّ حوله الناس، لجعله كتاب الله الأساس، في الفصل بين الخصوم، وردِّ الحق لكل مظلوم.

نسبه:

تزوج «عبد العزيز بن مروان» الأموي القرشي، من «أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب» فولدت له «عمر بن عبد العزيز»، فأحيا سيرة جده «عمر»، وأرسى قواعد العدالة بين البشر، وعده «سفيان الثوري» خامس الخلفاء الراشدين ﷺ أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وكان يكنى «أبا حفص»، وكان يقال له «أشج بني أمية» لأن دابة رمحته.

ولد «عمر» في السنة الحادية والستين في المدينة المنورة، فتنَسَّمَ من عبق النبوة، ونَشِقَ من عبيرها الشذي، ثم نما جسده، وكبر حجاه، وأصبح أهلاً للزواج، فزوجه الخليفة «عبد الملك بن مروان» كريمته «فاطمة بنت عبد الملك» فكانت نعم الصاحبة له، ورضيت بزهده وتقشفه، وشظف العيش الذي ارتضاه لنفسه دون من سبقه من الخلفاء، جالس «عمر» علماء المدينة وفقهاءها، فأفاد منهم علماً غزيراً، وقبس ورعاً وزهادة، وجعل جُلَّ وقته للعبادة، فرأى بقربها السعادة.

إمارة عمر:

وفي خلافة «الوليد بن عبد الملك» أسند إليه إمارة مكة والمدينة، ورضي به الناس، إذ ساسهم بالعدل والقسطاس، وقد أوحت إليَّ سيرته بهذه الأبيات:

أُزجي السلام لخامس الخُلَفَاءِ ... الراشدين وصفوة الخُلَصاءِ

من ساس كل الناس بالعدل الذي ... أَمَرَ العبادَ به ـ بغير مَرَاءِ ـ

ربُّ السماء محذِّراً من منكرٍ ... يأتونه ونهى عن الفحشاءِ
لك يا أشج بني أمية! هاجني ... وجد فأطلق مِقْوَلي بثناءِ
ما استطعتُ كتماناً له وقد انبرت ... تشدو بفضلك ألسن البلغاءِ
كم من أبٍ أهدى الفخار إلى ابنه ... وابنٍ أساء لسمعة الآباءِ!
وغدا لأهله سبةً ومعرَّةً ... أفضت بهم لمهانةٍ وشقاءِ
إلَّاك يا عبد العزيز! أتيتنا ... بفتًى ظهرتَ به على الجوزاءِ
وبلغتَ من شرف الأبوة منزلاً ... لم يلقه أحد من الوُجَهَاءِ
لما مقالد أمرنا صارت إلى ... «عُمَرٍ» وأصبح موئل الضعفاءِ
يبغون في إنصافه متقبلاً ... ربطوا النفوس به بحبل رَجَاءِ
فرأوه قد حمل العدالة رايةً ... ومضى بها في هِمَّةٍ قعساءِ
بين الأنام معاهداً رب الورى ... ألاَّ يخيس على المدى بقضاءِ
وبواحة (الفاروق) حَطَّ رحاله ... في ظل خير عدالةٍ غَرَّاءِ
آلت إليه وارثةً عن جده ... وكسته أبهى حُلَّةٍ وقَباءِ
وعلى أمير المؤمنين المرتجى ... ألقى الرعية أثقل الأعباءِ
فرعاهُمُ وَفْقاً لأحكم شرعةٍ ... زُفَّت بشائرها إلى الغَبْراءِ
وأقام ميزان العدالة بينهم ... فجنَوْا أتَمَّ سعادةٍ وهناءِ
يا أم عاصمِ جئتنا بِمُبَجَّلٍ ... قد عزَّ مَنحُ نظيره لنساءِ
أرضعته لبن الهدى وغذوته ... بشمائل الأبرار والكرماءِ
وأجدتِ رِعْيَتَه فما ضاعت سُدًى ... منكِ الجهود وما انتهت لهبَاءِ
وأبيت أن تتخاذلي وتُفَرِّطي ... في دفعه للمجد والعلياءِ
حتى إذا بلغ المدى الذي أَمَّلْتِه ... قرَّت به عيناك بعد تَنَاءِ
طوباك إذ كان الأشج لك ابْنَماً ... يا أم عاصم وانعمي برضاءِ
مولًى به أعطاك خير منوَّلٍ ... تاقت لمثلَه أنفس الدهماءِ
وتعلَّقت أحلامهم بلقائه ... حتى غدا السهم أعزَّ لقاءِ
وكفاك فخراً أن تكوني أُمَّ مَنْ ... أعيا مَداه قرائح الشعراءِ
ومن الذي يقوى على إنصافه؟ ... واللُّسْنُ قد بذلوا كبير عناءِ
لكنهم لم يلحقوا بغباره ... أبداً ولم يتوصَّلوا الفَنَاءِ

وإخالهم عرفوا الحقيقة وانْجَلَت لـهـمُ عـيـانـاً دون أيِّ غـطـاءِ
فالعدل مصدره السماء ومن يعش فـوق الـثـرى لا يـرتـقـي لـسـمـاءِ
إلا إذا لـبَّـى لـربـه دعـوةً وأجـاب مـمـتـثـلاً أحـبَّ نـداءِ
ولـيَـهْـنِ نـفـسَـك أن عـدلـه نـالـنـا وأطـاع نـور هـداه بـالـظـلـمـاءِ
فـعـلـى أبـيـه وأمـه وعـلـيـه يـا رب الأنـــام أفـــض مـــن الآلاءِ
فـي جـنـة الـخـلـد الـتـي أعـددتـهـا لـلـمـتـقـيـن وجُـدْ لـهـم بـعـطـاءِ
مـن بـحـر جـودك يـا كـريـم فـإنـهـم أدَّوْا أمـــانـــتـــهـــم أجَـــلَّ أداءِ
لله دَرُّك يـا أبـا حـفـص لـقـد خـلَّـفـت فـيـنـا أنـجـب الأبـنـاءِ
هـذا الـحـفـيـدُ الـفَـذُّ عـمَّ وجـودَنـا عـدلاً وكـان بـصـاحـب الإسـراءِ
مـتـأسـيـاً وبـخـيـر أربـعـةٍ أتَـوْا مـن بـعـده هـم خـيـرةُ الأُمـنـاءِ
أوفَـوْا بـعـهـد «مـحـمـدٍ» ولـربـهـم أبـــدَوْا وفـــاءً بـــذَّ كـــل وفـــاءِ [1]

ولما آلت الخلافة إلى «سليمان بن عبد الملك» جعله وزيراً له، فأخلص له النصيحة، ثم اقترح عليه وزيره «رجاء بن حيوة» أن يعهد إليه من بعده بالخلافة، ففعل.

نصرته للحق وأهله:

عرف «عمر بن عبد العزيز» بنصرته للحق، والوقوف مع أهله، حتى وإن كانوا من غير ملة، فقد أنصف ذمياً من ابن الخليفة، وقد ذكر أنه حين بويع بالخلافة صعد المنبر، وبعد حمد الله والثناء عليه، قال: (إن هذه الأمة لم تختلف في ربها، ولا في كتابها، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإني والله، لا أعطي أحداً باطلاً، ولا أمنع أحداً حقاً). ثم أمر رجلاً أن ينادي في الناس: (من كانت له مَظْلِمة فليرفعها): فأتاه ذِميٌّ، وهو جالس للمظالم، فقال: يا أمير المؤمنين! أسألك كتاب الله، قال: وما ذاك؟ قال: «العباس بن الوليد بن عبد الملك» غصبني أرضي، وكان «العباس» في المجلس، فقال «عمر»: يا عباس! ما تقول؟ قال: أقطعنيها أمير المؤمنين «الوليد» وكتب لي بها كتاباً، فقال «عمر»: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب «الوليد»، قم فاردد عليه ضيعته، فقام فردَّها. وهكذا صنع بمظالم جميع من كانت لهم مظالم، وشدَّد على بني أمية،

(١) الأبيات للشاعر محمد راجي حسن كناس.

واستخرج من أيدي ورثة «معاوية» ـ ﷺ ـ ما أخذوه دون حقه، وردَّه على أصحابه. وكان يشاور أهل الرأي، ولا يخشى في الله لومة لائم، وأطلق يد عماله في ردِّ المظالم دون مشاورته إلا فيما يشكل عليهم حَلُّه. وكتب إلى عامل له: (إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس، فاذكر قدرة الله عليه). وأخرج ابن الجوزي في كتابه «سيرة عمر بن عبد العزيز» [١]، قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: دخل رجل على «عمر بن عبد العزيز»، فأنشده:

إن أولى بالحق في كل حق ... ثم أولى بأن يكون حقيقاً
بالتقى والنهى وأخلاقه اللا ... تي تأبَّى بغيره أن تليقا
من أبوه عبد العزيز بن مروا ... نَ ومن كان جدُّه الفاروقا

طلبه لنصح العلماء:

عن الفضل بن الربيع، قال: سمعت «الفضيل بن عياض» يقول: لما ولي «عمر بن عبد العزيز» الخلافة، دعا «سالم بن عبد الله»، و«محمد بن كعب القرظي» و«رجاء بن حَيْوَة» فقال: (إني قد ابتليتُ بهذا الأمر فأشيروا عليَّ). فقال له «سالم»: (إن أردت النجاة من عذاب الله، فصم عن الدنيا، وليكن إفطارك منها الموت). وقال له «محمد بن كعب»: (إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فوقِّر أباك، وأكرم أخاك، وتحنَّن على ولدك). وقال له «رجاء بن حيوة»: (إن أردت النجاة غداً من عذاب الله ﷻ، فأحبَّ للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت).

روايته للحديث:

كان «عمر» راوية لحديث رسول الله ﷺ، وله إسناد عن «أنس بن مالكٍ» ﷺ، كما أسند عن «عبد الله بن عمر» ـ ـ وله رواية عن «عبد الله بن جعفر بن أبي طالب»، وعن «عمرو بن أبي سلمة المخزومي»، وعن «السائب ابن أخت عمر» كما روى عن «يوسف بن عبد الله بن سَلاَم». وله أحاديث مرسلة عن جماعة من القدماء كعبادة بن الصامت، و«تميم الداري»، و«المغيرة بن شعبة»، والسيدة «عائشة» ﷺ ، و«أم هانىء»، و«خولة بنت الحكم». وله رواية عن كبار

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص ١٤).

التابعين كسعيد بن المسيَّب، و«عبد الله بن إبراهيم بن قارظ»، وروى عن «سالم بن عبد الله» و«سلمة بن عبد الرحمٰن» و«عروة بن الزبير»، و«عبيد الله بن عتبة» و«خارجة بن زيد بن ثابت» و«عامر بن سعد بن أبي وقاص» و«أبي بردة» و«الربيع بن سبرة الجهني» و«عراك بن مالك» و«الزهري». و«محمد بن كعب»، وسمع من «أبي سلام» وهو «ممطور الحبشي» كما روى عن «أبي حازم»، فمنحه كل ذلك غزارة في العلم، وفصاحة وحسن بيان. ومن ذلك قوله في خطبة أخته، فقد روى محمد بن عبيد الله القرشي، عن أبي المقدام، قال: كانت قريش تستحسن من الخاطب الإطالة، ومن المخطوب التقصير، فشهدت «محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان» خطب إلى «عمر بن عبد العزيز» أخته، «أم عمر بنت عبد العزيز». فتكلم «محمد بن الوليد» بكلام جاز الحفظ، فقال «عمر»: (الحمد لله ذي الكبرياء، وصلى الله على «محمد» خاتم الأنبياء، أما بعد: فإن الرغبة منك دُعيت إلينا، والرغبة فيك أجابت منا، وقد أحسن بك ظناً من أودعك كريمته واختارك، ولم يختر عليك).

عظة ابن عمر لأبيه يوم توليه:

لما فرغ «عمر بن عبد العزيز» من غسل «سليمان بن عبد الملك» وتكفينه والصلاة عليه، قربت إليه مراكب الخلافة، فأمر بتنحيتها، وقال: دابتي أوفق لي، وكان قد أنصب نفسه بالسهر على أمر «سليمان»، ثم ذهب يريد المقيل، فأتاه ابنه «عبد الملك بن عمر» فقال: يا أمير المؤمنين! أي شيء تريد أن تصنع؟ قال: أيْ بني! أريد أن أقيل، قال: تقيل، ولا ترد المظالم؟ فقال: أيْ بنيِ!، إني قد سهرت البارحة في أمر عمك «سليمان»، فإذا صليت الظهر، رددتُ المظالم. قال: يا أمير المؤمنين! من لك أن تعيش إلى الظهر؟ قال: ادن مني أي بني! فدنا منه، فالتزمه، وقبَّل بين عينيه، وقال: (الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني)، فخرج ولم يَقِلْ، وأمر مناديه أن ينادي أصحاب الظلامات. ولا عجب مما صنعه «عبد الملك» بأبيه «عمر»! فإن هذا الشبل من ذاك الأسد، ثم أليس «عبد الملك» حفيد «أم عاصم» التي أبت مَذْقَ الحليب بالماء؟

أئمة العدل:

عن عباد السماك، قال: سمعت «سفيان الثوري» يقول: (أئمة العدل خمسة: «أبو بكر» و«عمر» و«عثمان» و«علي» و«عمر بن عبد العزيز»، من قال غير هذا فقد

اعْتَدَى). وعن مزاحم الخاقاني، قال: حدثني عمي، أبو علي عبد الرحمٰن بن يحيى بن خاقان، أنه ذكر لأحمد بن حنبل أنه يروي عن سفيان الثوري أنه قال: أئمة الهدى: «أبو بكر» و«عمر» و«عثمان» و«علي» و«عمر بن عبد العزيز»، فقال له أحمد بن حنبل: هذا كذا هو.

حسن سيرته في رعيته:

قال مالك بن دينار: لما ولي «عمر بن عبد العزيز»، رحمه الله، قالت رعاء الشاء في ذروة الجبال: من هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس؟ فقيل لهم: وما علمكم بذلك؟ قالوا: إنا إذا قام على الناس خليفة صالح، كفَّت الذئاب والأُسْدُ عن شأننا.

قال: حدثني حسن القصار، قال: كنت أحلبُ الغنم في خلافة «عمر بن عبد العزيز»، فمررت براعٍ، وفي غنمه نحو من ثلاثين ذئباً، فحسبتُها كلاباً ـ ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك ـ فقلت: يا راعي! ما ترجو بهذه الكلاب كلها؟ فقال: يا بني! إنها ليست كلاباً، إنها ذئاب. فقلت: سبحان الله! ذئب في غنم لا يضرها. فقال: يا بني! إذا صلح الرأس، فليس على الجسد بأس، وكان ذلك في خلافة «عمر بن عبد العزيز». قال: حدثنا موسى بن أعين، قال: كنا نرعى الشاء بكرمان، في خلافة «عمر بن عبد العزيز»، فكانت الشاء والذئب ترعى في مكان ـ واللهِ ـ واحد، فبينا نحن ذات ليلة، إذ عرض الذئب لشاة، فقلت: ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك. قال حماد: فحدثني هذا أو غيره أنهم حسبوا، فوجدوه قد مات في تلك الليلة [1].

تخييره لامرأته بين الجواهر وبينه:

روى الفرات بن السائب: أن «عمر بن عبد العزيز» قال لامرأته «فاطمة بنت عبد الملك» ـ وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها، لم ير مثله ـ: اختاري، إما أن تردي حُلِيَّك إلى بيت المال، وإما أن تأذني لي في فراقك؟ فإني أكره أن أكون أنا وأنت في بيت واحدٍ. قالت: لا، بل أختارك يا أمير المؤمنين عليه! وعلى أضعافه لو كان لي، فأمر به، فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين. فلما

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص ٨٩ ـ ٩٠).

هلك «عمر»، واستخلف «يزيد» قال لفاطمة: إن شئت رددته عليك، قالت: فإني لا أشاؤه، طبت عنه نفساً في حياة «عمر»، وأرجع فيه بعد موته؟ لا والله أبداً. فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده.

صور من زهده:

عن نعيم، قال: قلت لعمر بن عبد العزيز: ما يقعدك ههنا؟ قال: أنتظر ثيابي تغسل لأصعد بها المنبر. قلت: وما هي؟ قال: قميص، وإزار، ورداء، قيمتهن أربعة عشر درهماً. وذكر يعقوب، عن أبيه، قال: كان «عمر بن عبد العزيز» يُذَيِّل ثيابه، ويسرف في عطره، فلقد كان يدخل في طيبه حمل القرنفل، ولقد رأيت العنبر على لحيته كالملح، فلما أفضت إليه الخلافة ترك ذلك وتبذَّل، قال: فأخبرني «رياح بن عبيدة»، وكان تاجراً من أهل البصرة يعامل «عمر بن عبد العزيز»، يأمره وهو بالمدينة أن يشتري له جبة خَزٍّ. قال: فاشتريتها بعشرة دنانير، ثم أتيته بها فمسَّها، وقال: إني لأستخشنها. فلما ولي الخلافة أمرني فاشتريت له جبة صوف بدينار، فأتيته بها فجعل يدخل يده فيها ويقول: ما ألينها! فقلت: عجباً! تستخشن الخزَّ أمس، وتَسْتَلْبِنُ الصوف اليوم؟ قال: تلك حال، وهذه حال [١].

وعن الأوزاعي، عن أبي عبيد، حاجب سليمان، عن نعيم بن سلامة، قال: دخلت على «عمر بن عبد العزيز» فوجدته يأكل ثوماً مسلوقاً بزيت وملح. وقال «أبو أمية» غلام «عمر بن عبد العزيز»: دخلت يوماً على مولاتي، فغدَّتني عدساً، فقلت: كل يوم عدس؟ قالت: يا بني! هذا طعام مولاك أمير المؤمنين. وروي أنه سأل امرأته إذا كان لديها درهم ليشتري به عنباً، فاعتذرت، ثم قالت: أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم تشتري به عنباً؟ فقال: هذا أهون علينا من معالجة الأغلال في جهنم. وعن مسلمة بن عبد الملك، قال: دخلت على «عمر بن عبد العزيز»، أعوده في مرضه، فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك: يا فاطمة! اغسلي قميص أمير المؤمنين، قالت: نفعل، إن شاء الله، ثم غدوت، فإذا القميص على حاله، فقلت: يا فاطمة! ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين؟ فإن الناس يعودونه، قالت: والله، ما له قميص غيره.

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص ١٨٥).

إصلاحه للسراج:

أخرج ابن الجوزي في كتابه «سيرة عمر بن عبد العزيز» قال: حدثنا ابن كثير بن مروان، عن رجاء بن حيوة، قال: سمرتُ عند «عمر بن عبد العزيز» فاعتلَّ السراج، فذهبت أقوم أصلحه، فأمرني «عمر» بالجلوس، ثم قام فأصلحه، ثم عاد فجلس، فقال: قمت وأنا «عمر بن عبد العزيز»، وجلست وأنا «عمر بن عبد العزيز» ولؤمٌ بالرجل أن يستخدم ضيفه. قال: حدثنا ضمرة، عن عبد العزيز بن أبي الخطاب، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، قال: قال لي رجاء بن حيوة: ما أكمل مروءة أبيك! سمرتُ معه ذات ليلة، فغشي السراج، فقال لي: ما ترى السراج قد غشي؟ قلت: بلى، وإلى جانبه وصيف ـ خادم ـ راقد. قال: قلت: أفلا أنبهه؟ قال: لا، دعه يرقد، قلت: أفلا أقوم أنا؟ قال: لا، ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه قال: فوضع رداءه، ثم قام إلى بطة زيت معلَّقة، فأخذها، فأصلح السراج، ثم ردَّها في موضعها، وقال: قمتُ وأنا «عمر بن عبد العزيز» ورجعتُ وأنا «عمر بن عبد العزيز»] [(١)].

حِلْمُه:

روى «سهل»، عن عمر بن حفص، قال: حدثنا شيخ، قال: لمَّا ولي «عمر بن عبد العزيز»، خرج ليلة ومعه حَرَسِيٌّ، فدخل المسجد، فمر في الظلمة برجل نائم، فعثر به، فرفع رأسه إليه، فقال: أمجنون أنت؟ قال: لا. فهمَّ به الحَرَسيُّ، فقال له «عمر»: مه! إنما سألني: أمجنون أنت؟ فقلت: لا. قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن علي بن زيد، قال: أسمع رجلٌ «عمر بن عبد العزيز» كلاماً، فقال له «عمر بن عبد العزيز» أراد أن يستفزَّني الشيطان بعز السلطان، فأنال منك اليوم ما تنال مني غداً! ثم عفا عنه.

عبادته:

ذكر «سعيد بن عبد الملك» أنه بات عند أخته «فاطمة بنت عبد الملك» امرأة «عمر بن عبد العزيز»، فلما أمسوا دخل «عمر» البيت، وكان فيه صندوق، ففتحه «عمر» فأخرج ثوبي شَعَر، فوضع ثيابه، ثم لبسهما، ثم قام يصلي. وقال إسماعيل بن أبي حكيم: كان «عمر بن عبد العزيز» قلما يدع يوماً يقرأ في

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز (ص ٢١٤ ـ ٢١٥).

المصحف بالغداة، فلا يطيل. وسمع قارئاً يقرأ حتى إذا قال: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٧] بكى «عمر»، ثم اشتد بكاؤه، وظل يبكي حتى غشي عليه من شدة تأثره. وكان يصلي مرة، فلما قرأ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]. جعل يكررها، ولا يستطيع تجاوزها من البكاء.

وفاته:

لم ترق سياسة «عمر بن عبد العزيز» لبني أمية، وكانت صدورهم قد امتلأت غيظاً عليه لما استرد من حقوق الناس منهم، فأجمعوا أمرهم على التخلص منه، فدسُّوا له السم في طعامه فمات، وكفاه أن الناس استغنوا في زمانه، حتى لا يوجد أحد يأخذ الزكاة من أحد، فأودعت بيت المال، ودفن قريباً من معرة النعمان، وله أربعون عاماً، رحمه الله تعالى.

obeikandl.com